

سَبِيلُ السَّلَامِ

فِي حُكْمِ آبَاءِ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

خادم العلم محمد أمين عمر البالي

وحققها وأعاد طباعتها

السيد واصف أحمد فاضل كابل

محمد أمين عمر البالي

سَبِيلُ السَّلَامِ فِي حُكْمِ آبَاءِ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سوره

نبوی

۶

۴

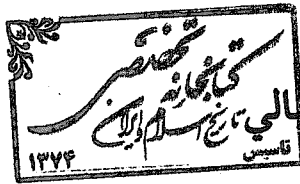
۴۳



سبيل السلام
في حكم آباء سيد الأنعام
صلى الله عليه وسلم



سبل السلام
في حكم آباء سيد الأنام
صلى الله عليه وسلم



تأليف

خادم العلم محمد أمين عمر البالي

وحققها وأعاد طباعتها
السيد واصف أحمد فاضل كابل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . آمين . . صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا واليسير ، وتغلق عنا بها أبواب الشر والتعسير ، وتكون لنا بها ولياً ونصير ، أنت ولينا ومولانا ، ونعم المولى ونعم النصير .

لقد اطلعت على طبعة عام ١٢٨٧ هـ في تركيا طبعها جناب محمد كامل آغا ، على نفقة والده السلطان الأعظم عبد المجيد على نية أن يكون هذا الكتاب هدية للمسلمين مجاناً ، راجياً الثواب من الملك الوهاب .

هذا الكتاب هو سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام جمع أدلتها وجوب مواضيعها وتفحص أدلتها من أمهات الكتب خادماً العلم محمد بن عمر البالي من أهل طيبة الطيبة التي خرجت من جناباتها علماء أجلاء حملوا راية الإسلام والذود عن حُرُماته .

لقد حمدت الله عندما وقعت تحت يدي هذه النسخة النادرة الجامعة الوافية في الذود عن آباء سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم ، وعزت على تحقيقها وتخريج أحاديثها وتصويب الأخطاء في الطباعة وإعادة صفها في ثوب يليق بالعصر ، مبتغياً رضا الله ومحبة حبيبه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأسأل الله العلي العظيم أن تكون في ميزان حسناتي .

وجزى الله عني كل من ساهم معنا في إخراج هذا الكتاب إلى النور للرد على المندسين بين صفوف المسلمين . فالحرب على الإسلام والمسلمين وبالذات سيد الأولين وآخرين مستمرة منذ بزوغ الدعوة وأحفاد اليهود ومن هاودهم والنصارى ومن ناصرهم المندسين بين المسلمين تحت راية الإسلام وهدفهم تفرقة الأمة الإسلامية وشق صفوف وحدتها بالدسائس والفتن والحقدهد على النبي صلى عليه وسلم وآل بيته لما نالوه من شرف الرسالة ونشرها وما نالوه من شرف ودرجة عالية .

المحقق

واصف أحمد فاضل الكابلي

* * *

سبل السلام
ففي حكم آباء سيد الأنام

محمد أمين عمر البالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا من الحمدُ منه وإليه . ويا من يعول في كل الأمور عليه . سبحانك لا إله إلا أنت المستحق لجميع حمد الحامدين . الصمد الواحد فلا يحمد سواك إلا بإذنك فتبارك الله رب العالمين . أدم ديم صلواتك وتسليماتك على الجوهر الفرد المكنون . وأفض فيوضات مبراتك ورحماتك على الجنس العالي والسر المصون . نبيك الأقدم . وحيبيك الأعظم . سيدنا ومولانا محمد . صاحب الشفاعة العظمى والمقام الأحمد . من عمت رسالته الملائكة والأنبياء والمرسلين . وإنما كانوا نواباً عنه فيما يبلغونه عن أحكم الحاكمين . فجميع الشرائع التي جاؤوا بها شريعة سيد الأولين والآخرين .

وكل آي أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها	يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدِّهم	من نقطة العلم أو من شكلة الحكيم

فلذا أخذ الله الميثاق عليهم . إن جاءهم ليؤمنن به وليكونوا له من الناصرين . فلو أدركوه ما وسعهم إلا ذلك وكانوا له من التابعين . وقد كان صلى الله عليه وسلم نبياً وآدم بين الماء والطين . بل لأجله أبرز هذا العالم فلولا له لم يكن والله غنى عن العالمين .

نبي خص بالتقديم قدما	وآدم بعد في طين وماء
فلولا لما كانت شمس	ولا فللك ولا بدر السماء

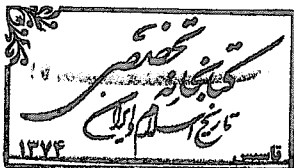
فمن نوره خلق الله الأشياء علويها وسفليها فتبارك الله أحسن الخالقين .

فسرى سره في سرائر سائر الموجودات رحمةً من أرحم الراحمين . وبه
 تاب الله على أبيه آدم عليه السلام . وبه ساد شيث على إخوته وبورك له في ولده
 وعاش ألفاً ونيفاً من الأعوام . وبه حفظ الله آباء إبراهيم من النار ونجاه من
 القوم اللثام . وبه فدى أبوه إسماعيل بذبح عظيم من دار السلام . وبه نصر نوح
 على قومه ، وببركته رد الله الكليم إلى أمه . ونجاه من الغرق بعواطف لطيفة
 ﴿ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وببركته جمع يعقوب على يوسف
 الصديق . وألهم الله ذا النون حين ترك الطريق . لا إله إلا أنت سبحانك إني
 كنت من الظالمين . فمعجزاته لم تزل ترى جيلاً بعد جيل . وبه أغاث الله آباء
 إسماعيل . بعد أن سعت أمه سبعاً بماء عظيم معين .

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
 أو لو رأى النمرود نورَ جماله عبد الجليل مع الخليل وما عَنَدُ
 لكنَّ جمالَ الله جلَّ فلا يرى إلا بتخصيصٍ من الله الصَّمَدِ

وقد طهر الله نسبه من الرجس تأسيساً لغراسه المكين . وجعل كل أصل من
 أصوله خير أهل زمانه كما ثبت عنه وهو الصادق الأمين . بعثت من خير قرون
 بني آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِّقَوْمٍ ﴾ . وفي آية ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ بالفتح عظة وتنبية
 للغافلين . صلى الله عليه وعلى آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين . وعلى آله
 وسائر أصوله الطيبين الطاهرين . وعلى أصحابه أئمة الأئمة ودهر الداهرين .
 وعلى العلماء العاملين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

﴿ أَمَّا بَعْدَ ﴾ فيقول المفتقر إلى رحمة ربه ولطفه الخفي . محمد بن عمر
 الباكي المدني الحنفي . قد ورد علينا في سنة ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف
 عدة رسائل في شرح الفقه الأكبر مطبوعه . لكنها على الطريقة المحمدية ليست
 بمطبوعة . لكونها مشتملة على ما تنفر منه الطباع . وتمجه الأذهان السليمة



عند الاستماع . فوضعت رسالة تكشف عن تلك المسألة القناع . وتطمئن بها القلوب وتلتذ عند ذكرها الأسماع (وسميتها سبل السلام . في حكم آباء سيد الأنام) . طمعاً في مرضاة ذي الجاه العظيم . ورجاء الفوز بجنت النعيم . وربتها على مقدمة وستة أبواب وخاتمة المقدمة في بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم .

* الباب الأول : في أنه يحرم التكلم في أحد من أصول النبي ﷺ بما لا يليق .

* الباب الثاني : في الأجوبة عما ورد في الأبوين الكريمين .

* الباب الثالث : في أن الوالدين الكريمين وسائر الأصول من أهل الفترة الناجين .

* الباب الرابع : في الذين يمتحنون يوم القيامة من أهل الفترة .

* الباب الخامس : في أن أصول النبي ﷺ كانوا على التوحيد .

* الباب السادس : في أن الله تعالى أحيا الأبوين الكريمين حتى آمنا به ﷺ .

* الخاتمة : في مسائل فرائد منتظمة في سلك أربع فلائد معتمداً على ما نقله الأئمة الأعلام ونص عليه المحققون الجهابذة العظام كالإمام السيوطي في رسائله والإمام الشعراني في اليواقيت والجواهر والعلامة القسطلاني في الممواهب اللدنية . والعلامة الزرقاني في شرحها وما اعتمده المحقق في المسامرة . والعلامة ابن أبي شريف في شرحها ، والعلامة الطحطاوي ، والمحقق ابن عابدين في حاشيتهما على الدر المختار ، والقاضي البيضاوي في تفسيره ، والعلامتان بهمنان أفندي والشهاب في حاشيته ، والمحقق شيخنا في رسالة علم المصطلح وحاشيتها ، والعلامة الدردير في مولده ، العلامة الأمير في حاشيته ، العلامة عlish في حاشيته على مولد البرزنجي ، العلامة ابن

زكري في شرحه الصلاة المشيشية ، العلامة الساجقلي في رسالته المسماة
بالسرور والفرح في حكم الأبوين الكريمين ، ومولانا الجد العلامة المرحوم
محمد أفندي بالي في مجموعته . فإلم أعزه لأحد فهو لهؤلاء السادة القادة .
وما حصل من الفتح الإلهي نبهت عليه حسبما جرت به العادة . وإياك أن تغتر
بظاهر ما نسب للإمام الأعظم في الفقه الأكبر ولا بمقالة شارحه هناك فإنه قول
غير معتبر وإنني أقول ما شاء الله كان . وليس الخبر كالعيان . هذا وأسأل الله
تعالى أن يسلك بي سبيل الرشاد . وأن يلهمني سبل الصواب والسداد .

* * *

المقدمة

في بعض خصائصه ﷺ

إعلم أن بر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أعظم المهمات . والأدب معهم سبب قوي في نيل المثوبات . ومحبتهم فريضة على كل مسلم . ومودتهم واجبة على مغتنم . خصوصاً من هو الفذلكة^(١) الكبرى . والفرد الجامع . والذكذكة العظمى . والنور الأول الساطع . زاكي المنبت طيب العناصر . قد كان كريماً من كرام تسنم كل منهم ذروة المجد والصفاء . وخص بأشياء لم تكن لنبي قبله وما من الله على نبيّ بشيء إلا وقد أعطى سيدنا محمداً ﷺ مثله فهو الأب الأكبر . وحقيق بالبر من سائر الآباء وأجدر . ولا شيء من المخلوقات إلا وهو مرتبط به من حيث الوجود والاستعداد . وكلّ يقتبس من نور مصباح مشكاته على قدر القابلية والاستعداد . ففي الصحيحين عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت طائفة منه طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقهه الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل

(١) قوله الفذلكة هي نهاية الحساب مأخوذ من قولهم إذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا والذكذكة حياة القلب ذكره في القاموس انتهى .

من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به « (١) الحديث .

وهو الوسطة في كل نعمه والمبعوث للعالمين رحمة . فنعمتان ما خلا موجود عنهما . ولا بد لكل مكون منهما . نعمة الإيجاد . ونعمة الإمداد . وهو ﷺ الوسطة فيهما إذ لولا أسبقية وجوده لما وجد موجود . ولولا وجود نوره في ضمائر الكون إلى أن برز لتهدمت دعائم الوجود (وروي أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام : « هل أصابك من هذه الرحمة شيء . قال نعم كنت أخشى العقابة ثم أمنت منها بشاء الله علي بقوله : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ وقوله : هل أصابك من هذه الرحمة شيء أي حظ وافر مخصوص . وأما أصل رحمة الإيجاد والإمداد فشامل له ولغيره وذلك أجابه به واقتصر على هذا لأنه أسنى المطالب وإلا فقد ناله من الحظوظ المخصوصة كثير (وقال سيدنا أبو العباس المرسي وغيره رضي الله عنهم جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا ﷺ هو عين الرحمة قال الله سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) حتى للكافرين باعتبار عدم تعجيل العقوبة كما قالوا على أن الرحمة لا تنحصر في ذلك وإذا كان عين الرحمة فهو أصل الرحمات وينبوعها فلا رحمة خارجة عنه وكل مرحوم مسهوم منه وفي اسمه محمد إشارة إلى ذلك فالحاء مشاربها للرحمة والميم الأولى للملك الأول وهو الدنيا والثانية للملك الثاني وهو الآخرة ووسطت حاء الرحمة بينهما إشارة إلى أن الملكين يتجاوزان فيستمدان منها والبدال مشاربها للدوام جاءت بتد ميم الملك الثاني إشارة إلى تأبده (وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن الله بعثني رحمةً مهداةً بعثت برفع قوم وخفض آخرين » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا نبي الرحمة » قال في المشارق لأنه به تيب على الناس وأمنوا ورحموا وقد

(١) ذكره البخاري في كتاب الصلاة ومسلم في فضائل النبي ﷺ .

(٢) أخرجه في الجامع الصغير وابن عساكر في التاريخ عن ابن عمر .

يكون معناه ما سماه الله به في قوله ﴿يَا مُؤْمِنِينَ﴾ رَوْفٌ رَجِيمٌ ﴿١٣٧﴾ بعطفه وإحسانه لهم وقد يكون رحمة الله للعالمين بشفاعته الأولى في الموقف من شدته وتعجيل حسابهم وهي الشفاعة العظمى في فصل القضاء وهو المقام المحمود . (أخرج أبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه المقام المحمود الشفاعة أي الموعود بها في فصل القضاء بين أهل الموقف حين يفزعون إليه إذ يطول عليهم الوقوف بعد مجيئهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون رحمةً للمؤمنين بعلو درجاتهم بشفاعته الثانية)^(١) ومنها إدخال قوم الجنة بغير حساب . (روى هناد وابن منيع والديلمي بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : « سألت الله الشفاعة لأمتي فقال لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قلت رب زدني فحسبى له بيده مرتين عن يمينه وشماله وضرب المثل بالحيثيات لأن شأن المعطي الكريم وإذا استزيد أن يحسب بكفيه بلا حساب) وربما ناوله بلا كف وهو ﷺ (أول من يقرع باب الجنة فيقوم الخازن ويقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك) وهو كالملك عليه وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب) ولذا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ما معناه : إن الله ملكه الجنة وأذن له أن يقطع منها ما شاء لمن شاء « والشفاعات تبلغ حد الكثرة إلى حد العشرة كما في شرح البخاري والشفاء منها شفاعته لأهل المدينة مع مشاركتهم للمؤمنين في سائر الشفاعات إذ للجوار مزية أعظم بها من منة وهذه الشفاعة مختصة بالآخرة بزيادة الدرجات على غيرهم أو تعم الدنيا بأن يحضر عليه الصلاة والسلام عند احتضار من يموت بالمدينة وعند لحده في قبره كما هو مشهور عند أهل المدينة المنورة ، ولا غرابة في ذلك والله أعلم) وقال عليه الصلاة والسلام في أمته أنها أمة مرحومة فلها الحظ الأوفر من رحمته) (وفي

(١) وأخرجه الترمذي برقم ٣١٣٧ باب التفسير .

حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ألا إني لكم بمكان صدق حياتي وإذا مت فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ماذا تصنع إذا مت قال لا أزال أنادي في قبري ربّ أمّتي ربّ أمّتي حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية » وفي الحديث دلالة على أنه ﷺ أمن من الصعقة عند النفخة الأولى (وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي بن كعب قال ﷺ : « يا أُنّي إن ربي عز وجل أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت أن يهون على أمّتي فرد إلى الثانية أقره على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألها فقلت اللهم اغفر لأمّتي اللهم اغفر لأمّتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب بها إلى الخلق حتى إبراهيم)^(١) . انتهى ومعنى الحرف في الحديث الطريق والوجه ومنه حديث نزل القرآن على سبعة أحرف ذكره في المصباح (وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (قمت ذات ليلة أطلب النبي وقد خرج من البيت فوجدته في البقيع فيقول قائماً يا ربّ أمّتي وساجداً يا ربّ أمّتي فقلت يا رسول الله وأين القرآن فقد نسيت لأجل هذه الأمة فلما سمع قال لي يا عائشة أتعجبين من هذا أقول ما دمت في الحياة يا ربّ أمّتي فإذا دخلت القبر أقول يا ربّ أمّتي فإذا نفخ في الصور أقول يا ربّ أمّتي) (وفي تذكرة القرطبي رحمه الله تعالى مما يدل على أن لهذه الأمة الحظ الأوفر منه ﷺ قوله) فإذا عصفت الصراط بأمتي نادوا وامحمداه وامحمداه فأبادر من شدة إشفافي عليهم وجبريل أخذ بحجزتي فأنادي رافعاً صوتي ربّ أمّتي ربّ أمّتي لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي) وناهيك أن العالم كله مرحوم به بشهادة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) فقد استبان من هذا كله أنه ﷺ قد أحسن إلينا إحساناً لا يماثله أحسان محسن من آبائنا وأقاربنا وأحبابنا وغيرهم إذ هو السبب في وجودنا وبقاء

(١) جامع الأصول ٣/ ٣٤ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

مهجنا وأرواحنا وتخليدنا في النعيم المقيم إن شاء الله تعالى (ولا شك إنا عاجزون عن مكافأته ﷺ) (ولهذا أمرنا أن نسأل الله تعالى أن يصلى ويسلم عليه نيابة عنا بفضلته في مكافأته إذ لا يكافىء أحسانه إلينا إلا أحسان خالقه تبارك وتعالى وفي هذا القدر كفاية لتنبيه المؤمنين ومعنى دقيق لا يخفى على المحققين فرحم الله البوصيري حيث قال :

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيعرب عنه ناطق بفهم
وفي تذكرة المحبين بعد كلام في هذا المقام قال فاذكروا يا أمة محمد عليه
الصلاة والسلام رحمة نبيكم بكم ورأفته عليكم وذكره لكم قبل وجودكم
وراقبوه في آبائه الكرام واقدرُوا قدر أولئك السادة الفخام ولا تقولوا على الله إلا
الحق وما يرضيه في أقربائه عليه الصلاة والسلام وأكرم بقول صاحب الهمة
بلغه الله تعالى في الجنان الأمنية :

وبدا للوجود منك كريم من كريم آبائه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه قلده نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء

ويتنظم في سلك ذلك قول العلامة ابن حجر أناله الله في الآخرة الوطن .

نبي الهدى المختار من آل هاشم فعن فخرهم فليقصر المتطاوّل
تنقل في أصلاب قوم تشرفوا به مثل ما للبدر تلك المنازل

وقد ورد أن قريشاً كانت نوراً^(١) بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي
عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ثم ألقى ذلك النور في صلب آدم
ثم لم يزل ينقله من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة واحفظوا لهم

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء ، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى ورواه محمد بن عمرو العدني في مسنده .

حرمتهم واحذروا إيذاءهم فإن من آذاهم فقد آذاه ومن آذاه ملعون بنص القرآن ومن ذلك إيذاء والديه بمد اللسان (ففي الحديث الشريف : لاتسبوا الأحياء بسبب الأموات) (وقد ورد أن أعمال الأمة تعرض عليه ص . ﷺ في كل أسبوع) (وحيث فلا شبهة في أنه من البهتان العظيم) . وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ حفظنا الله تعالى من أذية أحد من المسلمين .

* * *

الباب الأول

في بيان أنه يحرم التكلم في أحد من أصول النبي ﷺ بما لا يليق

أخرج أبو علي بن شاذان فيمارواه المحب الطبري والبزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية منا رسول الله ﷺ فقالوا تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكبا بكسر الكاف والقصر الكناسة فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس فقام على المنبر فقال أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال انسبوني قالوا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال فما بال أقوام يُنزَلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً . رواه الحافظ السيوطي في مسالك الحنفاء رحمه الله تعالى . وفيه وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال بلغ النبي ﷺ أن قوما نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناسة فغضب رسول الله ﷺ وقال إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ثم قال أنا خيركم قبيلة وخيركم بيتاً . وفيه وأخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير (وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد الله بن خالد

قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسبو مضر فإنه كان قد أسلم »^(١) ورواه السهيلي مسنداً . وأخرج أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع قال إسحاق بن داود بن عيسى المروزي بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ : قال « لا تسبوا ربعة ولا مضر فإنهما كان مسلمين » . وقال العلامة الطحاوي : الذي ينبغي اعتقاده حفظ الوالدين الكريمين من الكفر وأن الله تعالى أحياهما حتى آمنا به ﷺ قال : ولا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب . انتهى . ونحوه في رد المحتار .

قلت : واستعمال الانبغاء في الوجوب وعدمه في الحرمة شائع .

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال : إن أبا النبي ﷺ في النار ، فأجاب من قال ذلك : ملعون لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾^(٢) . قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار . ولا يخفى على كل لغوي أن لفظ الأب يطلق على جميع الأصول . قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيْكُمْ إِتْرَاهِيمُ هُوَ ﴾ ، إلى غير ذلك .

وفي شرح الموطأ للباجي رحمه الله تعالى أنه يحرم إيذاء النبي ﷺ ولو بفعل مباح مستنداً بقول النبي ﷺ لما أراد علي أن يتزوج ابنة ابن جهل : « إنما فاطمة بضعة مني وإنني لا أحرم ما أحل الله ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبداً » فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن تؤذي بمباح . قال جل ذكره ﴿ فَأَعْتِرُوا بِتَأْوِيلِ الْأَبْصَرِ ﴾ .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، حدثنا نوفل ابن الفرات وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، قال

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس والسهيلي في الروض ٦٢٥/١ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .

كان رجلٌ من كتاب الشام مأموناً عندهم استعمل رجلاً على كورة^(١) الشام وكان أبوه يزن^(٢) بالمنانية^(٣) فبلغ عمر بن عبد العزيز فقال لما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين من كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي ﷺ مشركاً فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه فقال أقطع لسانه . . أقطع يده ورجله . . أضرب عنقه . ثم قال لا تلي شيئاً ما بقيت . وسئل الإمام شرف الدين المناوي نفعا الله به عن والدي النبي ﷺ فزجر السائل زجرة شديدة . قاله في مسالك الحنفاء .

وقال شيخ الإسلام نجم الدين الغيطي في مولده الشريف وعلى كل حال فالحذر الحذر من ذكر الوالدين الكريمين بما فيه نقص فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ وقد قال ﷺ : « لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات » . ولا ريب أن أذاه ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب منه . انتهى .

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع : من قذف أم النبي ﷺ قتل مسلماً كان أو كافراً .

وفي حديث مسلم : « لا تسبوا الأحياء بسبب الأموات » فيحرم جزماً أن يقال أن أبوي النبي ﷺ في النار .

وقال السهيلي رحمه الله تعالى في الروض بعد إيراد حديث مسلم : وليس لنا أن نقول ذلك في أبويه ﷺ لقوله : « لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات » . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ الْآيَةُ .

(١) قوله على كورة إلى آخره . الكورة : بضم الكاف هي المدينة .

(٢) قوله يزن : أي يرمي ويتهم ، قال حسان رضي الله عنه حصان رزان ما تزن برية .

(٣) قوله بالمائة لم أحده هكذا في القاموس والذي فيه المنان بيمين الأولى مضمومة والثانية مكسورة : الليل والنهار فكان الرجل كان أبوه دهرياً ولا يخفى مناسبته للمقام وعليه فتكون إحدى اليمين سقطت من قلم الناسخ والله أعلم . انتهى .

وفي الجوهرة الثمينة للشيخ حسنين المالكي رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ : « من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى » .
وحينئذ فمن سب أحداً من أبويه الكريمين فقد آذاه صلى الله عليه وسلم بلا مین ، ومن آذاه كان ملعوناً كما نطق به القرآن العظيم . انتهى .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : أخبرنا جعفر ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا بسن بن معاذ ، حدثنا عبد الله بن فريد عن طلق بن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أدركتُ والديَّ أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرأتُ فيها بفاتحة الكتابِ تنادي يا محمد لأجبتُها لبيك » . . هكذا وجدته في مسالك الحنفاء بالنسخة التي بيدي فيُحتمل أنه تحريف من الناسخ وأن الأصل ينادي لأجبتُه بالتحية . وضمير المفرد المذكور عائد إلى الأحد . ويُحتمل أنه ﷺ خص الأم بالذكر إظهاراً لمزيتها على الأب كقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ ثم بين مزية الأم على الأب بقوله : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ الآية . فانظر إلى عظيم برِّه صلى الله عليه وسلم بوالديه . وفيه إشارة إلى إيمانها إذ لو كانا على الأمر المكروه لما قال عليه الصلاة والسلام ذلك . ويؤيده قول سيدي عبد الوهاب^(١) الشعراني معزياً لسيدي الشيخ محي الدين قدس سرُّهما : أعلم أنه ينبغي لكل مؤمن برُّ إجداده وآبائه المسلمين من آدم إلى أبيه الأقرب . قال ولقد اعتمدت مرة عن أبينا آدم عليه الصلاة والسلام وأمرتُ أصحابي بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل إلى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لأجل صلة أبينا آدم عليه السلام تلك الليلة . وذلك لأن رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس . قال ولقد ألهمني الله صلتها فوصلتها ووصلت بسببي

(١) ذكرت هذه العبارة في كتاب البواقيت والجواهر لسيدي عبد الوهاب الشعراني ٥٧/٢ .

أيضاً . وكان ذلك عن توفيقٍ إلهي لم أر لأحد في ذلك قدماً مشى عليه .
وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يا بني آدم يا بني آدم يا بني آدم إلا
ليذكرنا تعالى بأينا عليه الصلاة والسلام لفضله ومع هذا فلم يتنبه لهذه الأبوة
ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم عليها السلام
﴿يَتَّخِذْ هَٰؤُلَاءِ دِينَكِ وَأَيْنَ زَمَنٍ هَارُونَ مِنْ مَرْيَمَ ؟ .. انتهى .

أقول : لا يخفى أن هذا الأمر ليس بكثير على ذلك العالم بالله تعالى
الكبير فإنه قد يمن الله تعالى بذلك على من هو أدنى منه علماً وعرفاناً ﴿ذلك
فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء من عباده﴾ كيف وقد أثنى عليه أعيان علماء الشريعة
وأهل اللغة كالإمام الفيروزآبادي رحمه الله تعالى . فيا أيها الناصح لنفسه
إياك والخوض في هذا المقام فإن مسالكه مزال الأقدام فإن أبت نفسك مما
سيُتلى عليك من النصوص القاطعة الساطعة الناصعة اللامعة الجامعة فالزمها
مع سلامة القلب جادة الصمت فإن العلماء رحمهم الله تعالى عدّوه من حسن
الأدب والهدي والسمت . والحذر الحذر من الكلام بما فيه نقص فإنه يؤدي
النبي صلى الله عليه وسلم والعرف جارٍ بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه
ولو كان وصفاً قائماً به تأذى ولده بذكر ذلك . . كيف وقد روى ابن منده
وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى
النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إن الناس يقولون أنت بنت حطب النار . فقام
رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال : « ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ومن
آذاني فقد آذى الله » انتهى .

فلا ريب أن انتقاصه عليه الصلاة والسلام كفرٌ يُقتل فاعله كفراً أو حداً على
اختلاف المذاهب .

وبالجملة فلا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع حسن الاعتقاد ومزيد الأدب
وليست من المسائل التي يضر جهلها أو يسأل عنها في القبر أو في الموقف .

وأما إن ذكرت مع سوء أدب أو فساد اعتقاد فلا شبهة في حصول الضرر .
حفظنا الله تعالى بمنه وفضله .

وفي الحديث الشريف خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء : حُسْنُ الظَّنِّ بالله وحُسْنُ الظَّنِّ بعباد الله . وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء : سوء الظَّنِّ بالله وسوء الظَّنِّ بعباد الله . وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ . فإن قلت حسن الظن أو ضده وصف قلبي لا دخل له في العمل ، قلت : بل له دخلٌ عظيمٌ في العمل ، بل عمل القلب أقوى الأعمال ؛ لأن الإيمان الذي هو أساس كل عمل محله القلب . ولأن عمل القلب لا يدخله الرياء والسمعة ولأن أعمال الجوارح صور لأعمال القلوب فلولا أن له وجوداً نفسياً معتداً به لما قال تعالى : ﴿ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوتُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ولما قال الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
فظهر أن أعمال الجوارح منوطة ومرتبة على أعمال القلوب . وبينهما تلازم كلي من جهة أنه لا يتأني في الوجود الخارجي عمل اختياري إلا بسبق عمل نفسي . والله أعلم .

* * *

الباب الثاني

في بيان الأجوبة مما ورد في حقهما

قد تقرر أنه يحرم قطعاً أن يقال أن الأبوين الشريفين في النار .
وتحرر أن هذا القول يفضي إلى الطرد عن رحمة الله تعالى .

فما ورد من الأحاديث في ذلك . وهي حديث أنه ﷺ قال : « لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبُوَي » فنزلت ﴿ وَلَا تَسْتَلْ عَنْ أَهْبَابِ الْجَحِيمِ ﴾^(١) . وحديث : « أنه استغفر لأُمَّه فضرب جبريل في صدره وقال لا تستغفر لمن مات مشركاً » وحديث : « أنه نزل فيهما : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾^(٢) » وحديث أنه قال : « لابني مليكة أمكما في النار فشق عليهما فدعاهما فقال : إني أُمِّي مع أمكما » وحديث أنه استأذن في الاستغفار لأُمَّه فلم يؤذن له . وحديث : « أبي وأبوك في النار » .

فللعلماء في ترك اعتماده مجال كبير فذهب جماعة إلى أنها كلها منسوخة كما أجابوا بذلك عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار . وقالوا الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ . ولأحاديث الأبوين قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(٣) . أفاده في مسالك الحنفاء .

(١) قوله ولا تسأل الآية بصيغة النهي على قراءة نافع ويعقوب كما في البضاوي . انتهى .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ١٧ .

وقد أشار إلى رجحانه الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى كما ستعرفه .
وجزم به الحافظ السيوطي شكر الله سعيه في المقامة السندسية حيث قال : قد
وفقتُ عليها بأسرها وبالثبوت في جمعها وحصرها فأكثرها ما بين ضعيف
ومعلول . والصحيح منها منسوخ بما ورد من النقول .

وقال في الرسالتين المذكورتين : فانظر إلى هذه الأسرار المودعة في نظم
القرآن والمناسبات المبتدعة في ترتيب الفرقان من كون الجميلين في الفريقين
مقترنين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم البليغ . قال ولم يصح في
أم النبي ﷺ سوى حديث : « أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له » ولم
يصح في أبيه إلا حديث مسلم خاصة على ما سيأتي فيه . انتهى .

قوله والصحيح منها منسوخ النسخ في اللغة الإزالة وفي الشرع بيان انتهاء
الحكم السابق فهو مختص بالأحكام الشرعية المكلف بها . وحيث لا يظهر
هذا الكلام . وقد يقال إن النص يكون لإفادة العمل والاعتقاد والاعتقاد
أرجح في المقصود من النص فمن ترك الصلاة لا يكفر ومن جحدتها يكفر .
وقد فرضت الصلاة ليلاً وابتدأها من الظهر فالاعتقاد سبق العمل . هذا كله
في علم الأصول ولكن القول بمثله ههنا بعيد وكذلك الجمل على النسخ
اللغوي خفي فالأولى أن يقال أن ما أعل من هذه الأخبار في حيز الضعف
والضعيف كله إنما يجوز العمل به بشروط ذكرت في الدر المختار وحواشيه
في آداب الوضوء وما ظن صحته من هذه الأخبار فالآية الكريمة وأمثالها
تكفي في ضعفه .

وبتقرير آخر إذا تعارض نصان واحدهما أقوى فالأخذ بالأقوى منهما .
وبالجملة فأحاديث هذا الباب الموردة فيما لا يليق ساقطة الاعتبار كما حققه
شيخنا السيد يوسف الغزي حفظه الله تعالى .

فإن قلت الاستدلال على النسخ بالآية المذكورة ونحوها إنما يتأتى على

مذهب الأشاعرة لا على مذهب الماتريدية . قلت ستعرف الجواب عنه في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

ومما يقوي ما أردناه كما ستقف عليه في مسالك الحنفاء من رواية الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه حين سئل صلى الله عليه وسلم عن أبيه فقال : ما سألتهما^(١) ربي فيعطيني فيهما وإني لقاتم يومئذ المقام المحمود . فهذا الحديث ذكره جمع من الحفاظ وأقره بل استدلوا به على نجاة الأبوين الكريمين كالإمام السهيلي والإمام السيوطي والإمام الشعراني رحمهم الله تعالى . وقد تقرر في المصطلح أن الحديث الصحيح إذا عارضه دليل آخر هو أرجح منه وجب تقديم ذلك الدليل كما أفاده أستاذنا العلامة المحقق السيد يوسف الغزي في حاشية رسالته في علم المصطلح حفظه الله تعالى بأن العلم بتأخر أحدهما من المرجحات ويسمى المتأخر بالناسخ وهو المعمول به ويسمى المتقدم بالمنسوخ . فإن لم يدر عين المتقدم من عين المتأخر فالعمل على أرجحهما متناً أو سنداً بكثرة الرواة أو قوة صفاتهم التي لها دخل في الرجحان فإن لم يوجد مرجح وجب التوقف حتى يظهر مرجح . انتهى . ودليل المتأخر هنا أظهر من الشمس في رابعة النهار كيف والحديث صريح في أنه صلى الله عليه وسلم يعطيه ربه ما سأل في والديه عند قيامه المقام المحمود يوم ينجز له الرب الجليل ما وعده به ويخاطبه بـ : « قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع » . وسيأتي مزيد توضيح لهذا الحديث إن شاء الله تعالى .

ثم بعد حين رأيت مؤيداً مستفاداً من كلام الحافظ السيوطي وهو أن قوله عليه الصلاة والسلام لابني مليكة : « أمي مع أمكما » كان قبل أن يسأل ربه فيهما . فهذا صريح في التأخر والحمد لله ذكره في شرح المواهب . ويرشح ما قلناه ما في مسالك الحنفاء من رواية تمام في فوائده من حيث ابن عمر

(١) لعله ما سألت ربي فيهما فيعطيني كما يظهر من كلامه من الآتي .

رضي الله عنهما : « إذا كان يوم القيامة شعفتُ لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية » . والمراد بالأخ ابن حليمة السعدية رضي الله عنها فإنه أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . انتهى . فلم يكن له ﷺ أخ من النسب كما أنه لم يكن لأمه رضي الله عنها أخ من النسب حتى يكون خالاً للنبي ﷺ . وقول بني زهرة نحن أحوال رسول الله لأن أمه الكريمة منهم وهو المراد من كلام الجوهري أن بني زهرة أحواله ﷺ . وقد نص العلامة الشبراملسي أن إضافة الأحوال إليه ﷺ مجزية فما في المواهب محمول عليها أفاده في الجواهر الثمينة للشيخ حسنين المالكي رحمه الله تعالى .

وقال سبط الجوزي رحمه الله تعالى : أجمع العلماء على أن آمنة لم تحمل بغيره ﷺ يعني فلم يشركه في ولادته ﷺ من أبويه أخ ولا أخت لانتفاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوّة غاية ولتمام الشرف نهاية . انتهى من شرح المواهب للعلامة الزرقاني رحمه الله تعالى .

فإن قلت بين لنا ما وعدت به آنفاً من الكلام على حديث مسلم رحمه الله تعالى ، قلت : قال إمام السنة الجلال السيوطي عطر الله مضجعه قوله : « إن أبي وأباك في النار » بهذا اللفظ لم يتفق عليه الرواة ، وإنما ذكره حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكران أبي وأباك في النار ولكن قال قال ﷺ للسائل حين قال له يارسول الله أين أبي قال : « في النار » فلما قفا دعاه وقال له : « إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار » فهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده الكريم صلى الله عليه وسلم بأمر البتة . وهو أثبت من حيث الرواية . فإن تمعمرأ أثبت من حماد لأنه تكلم في حفظه . ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه بل كان لا يحفظ . ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً . وما خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت .

قال الحاكم في المدخل ما خرج مسلم لحمد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت . وقد خرج له في الشواهد عن طائفة . وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت . قال ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد ابن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس . وأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهر عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ أين أبي قال : « في النار قال فأين أبوك قال حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار » . وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتعين تقديمه على غيره . وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره . قال فأسلم الأعرابي بعدُ فقال لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار . وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار . قال فكأنه وجد من ذلك فقال يارسول الله فأين أبوك قال رسول الله ﷺ حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار . قال فأسلم الأعرابي بعدُ . فقال لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار . فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ هو الذي صدر منه ﷺ ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتنان فلم يسعه إلا امتثاله . ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة . فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي بالمعنى على حسب فهمه . وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت . انتهى .

قلت : ونظير ما تقدم من الكلام على حديث مسلم إلى هنا مذكور في شرح المواهب غير أنه زاد قوله فتبين أن السائل أعرابي وهو مظنة خشية الفتنة والردة . والمصطفى ﷺ كان إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له أن

يفتن أجابه بجواب فيه تورية وإيهام اصطلاحى . وهذا كذلك إذ لم يصرح فيه بالأب الكريم إنما قال حيثما مررت . إلخ . وهذه جملة لا تدل على ذلك فكره عليه السلام أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهية الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب . فأورد له جواباً موهماً إيهاماً بديعياً تطمينا لقلبه . انتهى .

قلتُ : ومثل هذا الجواب بغير المسئول عنه لنكتة من مقاصد البلغاء . قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ^(١) والمسئول عن سبب زيادة الهلال ونقصه تدريجياً ولكن هذا دقيق على إفهام للعرب . فكانه قيل الذي يتيسر لكم وينفعكم هو هذا دون ما سألتكم عنه . وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِالتَّامَةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ^(٢) إلى غير ذلك مما لا يستقصى . أفاده شيخنا ثم قال في شرح المواهب أن الحديث الذي رواه حماد تصرف فيه الرواة وأن هذه الطريقة التي هي طريقة معمر في غاية الإلتقان . ولذا قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه . انتهى . قال السيوطي ثم رأيت طريقاً أخرى للحديث مثل رواية معمر وأزيد وضوحاً وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه عليه السلام فعدل عن ذلك تجاهلاً وتادباً . فقد أخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المتفق قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً فذكر الحديث إلى أن قال قال نهيك فقلت يا رسول الله هل في أحد ممن مضى منا في جاهليتنا من خبر

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٥ .

فقال رجل من عرض^(١) قريش إن أباك المتفق في النار ، فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس . فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله . ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل . فقلت وأهلك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسؤك . فهذه رواية لا إشكال فيها بل هي أوضح الروايات وأبينها . قال وأما حديث أمي مع أمكما فأخرجه الحاكم وقال صحيح ولكن تعقبه الذهبي وبين وجه ضعفه وحلف عليه بالله تعالى يمينا شرعياً .

وأما حديث نزول : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ فضعيف أيضاً وثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب لقوله صلى الله عليه وسلم له « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » انتهى . قلت : قال العلامة البيضاوي رحمه الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة : « قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه الصلاة والسلام لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنك » فنزلت الآية . انتهى . ويساعده أن الآية التي بعدها نزلت في حق آزر وهو عم الخليل على الأصح وأما أبوه فاسمه تارخ كما في القاموس وسيأتي شرحه عن الفخر الرازي والسيوطي وغيرهما إن شاء الله تعالى ثم لا يشكل إن موت أبي طالب كان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وسورة براءة من آخر ما نزل بالمدينة لأن هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية . فإنها تنزل بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي ﷺ له نقله الزرقاني معزياً للإتقان وأقره . انتهى .

وتمام الكلام في حق أبي طالب يأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى . قال السيوطي رحمه الله تعالى وأما حديث أن جبريل ضرب في صدره إلخ فإن

(١) قوله من عرض قريش العرض بضم العين الجهة والناحية كما في المصباح . انتهى .

البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف . وأما حديث « ليت شعري »^(١) ما فعل أبوي فنزلت الآية « وهي » عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿٧٧﴾ فهو مردود من أربعة أوجه : أحدهما من جهة السند فإنه لم يخرج في شيء من كتب الحديث المعتمدة وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتاج به ولا يعول عليه وقد تقرر في علم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد لا ضعيف ولا مقطوع . وهذا السبب لا يعرف له في الدنيا إسناد صحيح . انتهى بقليل زيادة قلت وشرط الحديث الصحيح هو ما أشار إليه شيخنا علامة الوجود السيد يوسف الغزي حفظه الله تعالى في منظومته في علم المصطلح بقوله :

منها الصحيح وهو ما قد اتصل سنده ولم يشذ أو يعمل
يرويه عدل ضابط عن مثله معتمد في ضبطه وعدله

انتهى . الوجه الثاني قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقربته منه ﷺ وبره به مع امتداد عمره وامتناعه عن طاعته وأمره ، فلو كان والده كما زعم لكان أولى بهذه المزية من أبي طالب لأن إكرامه تعالى في والديه ﷺ أسرُّ له وأقرُّ لعينيه لكونيهما أشد من أبي طالب قرباً وأكد حباً وأقوى برأ وأقصر عمراً فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في الجحيم . هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم . الوجه الثالث من جهة البلاغة وأسرار البيان كما أفاد في المسالك وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن عبدها كلها في اليهود من قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾^(٢) إلى قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَوْفَيْتُكَ بِرَبِّكَ ﴾ ولذا ختمت

(١) ما فعل أبوي أي ما فعل بهما على حدِّ يا أبا عمير ما فعل النغير أي ما فعل به ذكره شيخني زاده . انتهى .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٤٠ .

القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى ﴿فَتَقَىٰ آلَ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ عَلَيْكَ وَكَافَرُوا بِآيَاتِهِ﴾ الآيةين .
فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرحاً به في
الأثر . أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد
قال من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وآياتان في نعت الكافرين وثلاث
عشرة آية في نعت المنافقين ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل .
قال السيوطي إسناده صحيح .

ومما يؤد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود . انتهى .
ولذا استبعد حملة على الأبوين في التفسير الكبير ولم يصدر به في أنوار
التزليل .

وقال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى : وحمله على نهى النبي ﷺ عن
لسؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم . انتهى .

الوجه الرابع : مخالفته لأصول الأشاعرة والماتريدية الآتي ذكرها .

ويرشح ما قلناه من حيث المناسبة ما ذكره في المسالك والمقامة السندسية
أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار فقد أخرج ابن
أبي حاتم عن أبي مالك أحد التابعين في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُشْلَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ﴾ قال : الجحيم ما عظم من النار .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر في قوله تعالى : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال :
أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . قال
والجحيم فيها أبو جهل . انتهى .

فيا أيها الزاجر لنفسه المستعد للجواب عند حلوله في رسمه أما كان لك مما
تلوناه سبيل ناجح ؟ أما سمعت كلام الأئمة الذين كلٌّ منهم لو وزن بالجمال فهو
عليها راجح ؟ كلا والله إن الجحيم لا تليق إلا بمن عظم كفره وعاند عن علم

ويقين أو اشتد إيذاؤه للنبي ﷺ أو كذبه فيما جاء به من الآيات والكتاب المبين .

جواباً به تنجو اعتماد فورئنا لعنَ عمل أسلفت لا غير تسأل واعلم أن جميع ما ذكر من الأجوبة مبني على قوانين علم الحديث وهو الأصل وهناك أجوبة للعلماء من غير هذا الطريق .

قال السيوطي رحمه الله تعالى : فيجاء عن حديث عدم الاذن في الاستغفار لأمه أنه كان ﷺ في صدر الإسلام ممنوعاً عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فيحتمل أنه كانت عليها تبعات فمنع عن الاستغفار لها بسببها .

وقال العلامة المرعشي الحنفي الشهير بساجقلي : زاده بلغة الله الحسنى وزيادة ، أن معنى الاستغفار هو طلب المغفرة للذنب وأمّه الكريمة لا ذنب عليها لأنها لم تقم عليها الحجة وهي دعوة الرسول فلا ذنب . فلا استغفار لأنه حيثئذ يكون لغواً متضمناً للكذب وهو لا يجوز عليه ﷺ . فلذا لم يأذن له ربه في الاستغفار لها ونظيره الاستغفار في الصلاة عليه .

قال وأما بكاءه ﷺ عند زيارة قبر أمه الشريفة فتحسر على فراقها لا لعدم إذن ربه في الاستغفار لها . انتهى .

وروى العلامة الزرقاني عن القاضي عياض تغمدهما الله برحمته أن بكاءه عليه الصلاة والسلام عند زيارة قبر أمه ليس لتعذيبها . إنما هو أسف على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به وقد رحم الله بكاءه فأحيها له حتى آمنت به .

وما ألطف هذه العبارة وأرشقها وأعذبها فإنها صريحة في أن البكاء إنما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الأمة لا لكونها على غير الحنيفية . انتهى . وسيتضح ذلك لك إن شاء الله تعالى .

وأما حديث : « أمي مع أمكما » على ضعف إسناده فلا يلزم منه كونها في



النار لجواز أنه أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ وعبر بذلك تورية وإيهاماً
تطبيهاً لقلوبهما .

ويجوز أنه صدر ذلك منه قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة . كما قال في
تبع لا أدري تبعاً ألعيناً كان أم لا . . كما أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبي
هريرة رضي الله عنه .

وقال عليه السلام بعد أو أوحى إليه في شأنه : « لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم »
أخرجه ابن شاهين في النسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضي الله
عنهما . . فكانه عليه الصلاة والسلام لم يوح إليه أولاً في شأنها بشيء ولم
يلغ ^(١) القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمهما جرياً
على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد . انتهى من شرح المواهب .

وفي مسالك الحنفاء يجاب عن قول السائل : فأين أبوك ؟ وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث أنس « إن أبي » على تقدير ثبوته بأن المراد عمه أبو طالب
لا أبوه عبد الله كما قال بذلك الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى في أبي
إبراهيم أنه عمه وهو منقول عن ابن عباس ، ومجاهد وابن جريج والسدي
رضي الله عنهم . وكفى بهم حجة .

قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ فأطلق على
إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب . كما أطلق على إبراهيم وهو جده عليهم
الصلاة والسلام .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول : الجدُّ
أَبٌ . وأخرج ابن أبي العلية رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُ آبَائِكَ ﴾

(١) قوله القول الذي قالته عند موتها يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . انتهى .

لَمْ يَزِهِمْ وَلِاسْمَعِيلَ ﴿١٠﴾ قَالَ سَمَى الْعَمَ أَبَا وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْ يُطْلَقَ الْأَبُ عَلَى أَبِي طَالِبٍ كَانَ شَائِعاً فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ قُلْ لِابْنِكَ يَرْجِعُ عَنْ شَتْمِ آلِهِتِنَا . وَقَالَ لَهُمْ مَرَّةً لَمَّا قَالُوا لَهُ أَعْطَانَا ابْنَكَ نَقْتُلُهُ وَخَذَ هَذَا الْوَلَدَ مَكَانَهُ أَعْطَيْكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ وَآخِذْ ابْنَكُمْ أَكْفَلَهُ لَكُمْ . وَلَمَّا سَافَرَ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ نَزَلَ لَهُ بِحِيرَى فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا مِنْكَ فَقَالَ : هُوَ ابْنِي . فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا . فَكَانَتْ تَسْمِيَةُ أَبِي طَالِبٍ أَبَا لِلنَّبِيِّ ﷺ شَائِعَةً عَنْدهُمْ لَكُونِهِ عَمَهُ وَلَكُونِهِ رَبَاهُ وَكَفَلَهُ مِنْ صَغُرِهِ وَكَانَ يَحُوطُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَنْصُرُهُ فَكَانَ مِظَنَّةَ السُّؤَالِ عَنْهُ . انْتَهَى .

أَقُولُ : وَكَمَا أَنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ لَفْظَ الْأَبِ عَلَى الْعَمِ إِطْلَاقاً شَائِعاً وَإِنْ كَانَ مُجَازاً تَطْلُقُ لَفْظَ الْأَبِ عَلَى الْمُرَبِّي .

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّاجِقِيُّ : إِنَّ الْمُرَبِّيَ وَالْمُرَبِّيَّةَ يَطْلُقُ عَلَيْهِمَا لَفْظَ الْأَبِ وَالْأُمِّ فَأَبُو طَالِبٍ يُسَمَّى أَبَا لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهَيْنِ وَزَوْجَتُهُ تُسَمَّى أُمًّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَكِلَاهُمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْأَبَوَيْنِ . فَاحْفَظْ ذَلِكَ . انْتَهَى . يَعْنِي فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَبْوَابِ .

وإِلَى هُنَا تَمَّ مَا جَالَتْ فِي مِيَادِينِهِ الْفَرَسَانِ وَانْفَلَقَ نَوْرُ فَجْرِ نَهَارِهِ عَنْ غَسَقِ لَيْلِهِ وَبَانَ .

قَالَ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : وَقَدْ اسْتَرَّاحَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَجُوبَةِ كُلِّهَا وَأَجَابُوا عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّهَا أَخْبَارُ أَحَادٍ لَا تَعَارِضُ النُّصُوصَ الْقَاطِعَةَ . انْتَهَى .

وَالْمُرَادُ بِالنُّصُوصِ الْقَاطِعَةِ مَا سَيَأْتِي مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ .

فَهَذِهِ طَرُقُ ثَلَاثَةٍ فِي الْجَوَابِ عَمَّا وَرَدَ مِنَ الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا يَحُلُو فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَكْتَفِيَ بِهَا بِأَنْ كُنْتُ ذَا رُويَةٍ بِطَرِيقِ الْاسْتِدْلَالِ فَنَعْمَا هِيَ . . . وَهَذَا سَبِيلُ الْخَوَاصِّ . . . وَإِنْ قُلْتَ لَسْنَا كَذَلِكَ وَلَكِنَّا

نقف في ميدان الجدال كما هو شأن غالب أهل الزمان ونثبت بما في صحيح مسلم على فرض ثبوته فأقول : نجيبك أيها الجدليّ بمثل ما أجاب به أمثالك الإمام السيوطي فلي به أسوة حسنة .

فإن كنت من أهل مذهبنا حنفي المذهب فأقول لك : قد ثبت في الصحيحين : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وأنت تصحح الصلاة بدونها . وصحّ في الحديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم باع المدبر وأنت لا تجيزه ولم تعتبر القلتين فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة . . فإن قلت قامت أدلة أخرى معارضة لها عند الإمام وترجحت فقدمت عليها قلت وهذا مثله . وإن كنت مالكي المذهب فأقول لك : قد صح في الصحيحين : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي صحيح مسلم : أنه صلى الله عليه وسلم لم يمسح كل رأسه في الوضوء . والمالكي لا يقول بخيار المجلس . ويوجب مسح كل الرأس . . فلم لم تعمل بما في صحيح مسلم . فإن قلت : قامت أدلة أخرى معارضة لذلك عند المالكي وترجحت فقدمت قلت وهذا نظيره .

وإن كنت شافعي المذهب أورد عليك ما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وأنت لا تصحح الصلاة بدونها . وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون » وأنت إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده تقول مثله . . وإذا صلى جالساً لعذر وأنت قادر على القيام تصلي خلفه قائماً لا جالساً . . فكيف خالفت صريح أحاديث مسلم والبخاري رحمهما الله تعالى فإن قلت : قامت أدلة أخرى معارضة لهذه وترجحت فقدمت عليها قلت : وما نحن فيه كذلك .

وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول : قد ثبت في الصحيحين « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » وثبت فيهما أيضاً « لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين » والحنبلي يقول بصيام يوم الشك فلم خالفت ما ثبت في الصحيحين . فإن قلت قامت أدلة أخرى معارضة لها ورجحت فقدمت عليها قلنا وهذا تنظيره .

وثم شيء آخر يصلح خطاباً لكل مجادل ذي رواية وروية وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن طلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول الله وأبي بكر رضي الله عنه وصدر من إمارة عمر رضي الله عنه ، فهذا سؤال يرد على كل ذي علم فإن أجاب بمقتضى هذا الحديث من أنه إنما يقع طلاقاً واحدة فيمن قال لزوجته أنت طالق ثلاثاً أعرضنا عنه وليس لنا معه كلام لمخالفته الإجماع وإن أجاب بوقوع الثلاث قلنا له كيف خالفت ما في صحيح مسلم . فإن قال لما عارضه قلنا له فاجعل هذا مثله . وبهذا تعلم أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم ولا غيره يقال بمقتضاه إذا وجد ما يعارضه كما لا يخفى على من له مسكة بعلم المصطلح . وما ذكرناه إنما يكون ملزماً للجدلي إذا كان لديه رائحة من العلم والله الموفق . فإن قلت بقيت عقدة واحدة وهي ما نسب إلى الفقه الأكبر من قوله ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر وأبو طالب عمه مات كافراً فاحلل لنا هذه العقدة . قلت مستسناً بالله تعالى : هذه العبارة مشتملة على جملتين ولكل منهما حكم مستقل عقلاً قلاً بلا ميين غير أننا نقتصر على شرح العبارة الأولى لخفائها دون العبارة الثانية اظهر معناها . فنقول : قوله ماتا على الكفر . إلخ ، قال شيخ مشايخنا العلامة الطحاوي معزياً للعلامة ابن حجر المكي نور الله مضجعهما معناه أنهما ماتا في زمن الكفر وليس معناه اتصافهما بالكفر . انتهى . قلت : فهو على حد قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيَاطِيْنُ عَلٰى مُلْكٍ سُلَيْمٰنٍ ﴾ أي في زمن ملكه . وهذا شائع ذائع في كلام العرب والبلغاء . فأفاد أن في الكلام حذفاً وتقديراً واستعارة

تبعية في الحرف . ولكن ينبغي أن يكون هناك مضاف آخر محذوف مستفاد من وجه الشبه والتقدير : ماتا في زمن تمكن الكفر من الناس لتأخر ذلك الزمن جداً وبعده عن زمن عيسى عليه الصلاة والسلام بستمائة سنة ، رواه العلامة الشهاب مجتبى البيضاوي رحمه الله تعالى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه . قال وفي رواية بخمسمائة وخمسين وإنما عبر بالكفر ليفيد ما قلناه وأن الكفر في ذلك الزمن قد ملأ الأرض مشارقها ومغاربها وليس على وجه الأرض إذ ذاك من يوحد الخالق سبحانه إلا نفر متفرقون في الأرض وقليل ما هم . فغلبة ما دلت عليه العبارة أن الوالدين الكريمين لم يدركا بعثة النبي ﷺ وأنهما من أهل الفترة فصريح النص لم يدل على حكم غير هذا ولم يفد نجاة ولا غيرها إلا أن جانب النجاة يترجح ليكون موافقاً لما أجمع عليه الماتريديّة والأشاعرة من أن الوالدين الكريمين من قسم أهل الفترة الناجين بيقين كما ستقف عليه بل الذي ينبغي أن يترجح جانب التوحيد ليكون موافقاً للأصل المروي عن الإمام وهو لا عذر لعاقل في الجهل بخالقه فقد نص على أن الوالدين الكريمين لم يجهلا خالقهما كما ستعرفه في الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى فحينئذ يحصل التطابق بين الكلامين . وهذا هو الأيق بجلالة إمام الأئمة وقُدوة أعيان الأمة تغمدّه الله برحمته وأسكنه بحبوحه^(١) جنته .

والقدر يكفيننا في هذا المبحث .

ثم بدا لي مسك آخر يمتنى على ما ذكره صاحب القاموس رحمه الله تعالى من أن الكفر بفتح الكاف تعظيم الفارسي ملكه فلم لا يجوز أن يستعمل في التعظيم المطلق عن القيد المذكور ، ثم يقيد بتعظيم الخالق تعالى مجازاً مرسلًا بمرتبتين . وعليه فالمعنى ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على تعظيم الله تعالى .

(١) قوله بحبوحه . الحبوحه : بضم الباء الأولى والثانية هي وسط المكان كما في القاموس . انتهى .

فإن لفظ « أل » ينوب عن المضاف إليه وبه أيضاً يقع التطابق ويحصل التوفيق بين كلامي الإمام من غير افتقار إلى مرجحات خارجية وبالله التوفيق .

لا يقال هذه الاحتمالات بعيدة عما يفيد جواهر اللفظ لأن نقول احتمال أن المراد من قول الإمام الأمر المكروه بعد ونسبته إليه أبرد . فإن قلت بما قامت الأدلة الصريحة في ذلك عند الإمام قلت سبحان الله من هذا الكلام . . أترى أن غير الإمام أبي حنيفة من المحدثين والفقهاء علموا ضعيف تلك الأحاديث ومعلولها وناسخها ومنسوخها كما مر شرحه وأبا حنيفة جهل ذلك . . هذا غلط كبير بل شرط الإمام في الحديث أبلغ من شرط الشيخين البخاري ومسلم . فرواية الحديث عنه أعز وصحة الحديث عنده أعوز لأنه يشرط ما شرطه غيره من المحدثين ويزيد عليهم التذكر وعدم النسيان كما نص عليه شيخنا في حاشية علم المصطلح وتشهد له كتب المذهب فافهم . والله أعلم .

ويدلك على ما قلناه تغيير العبارة إذ لو كان مراده أنهما كافران لجمع الكل وقال ماتوا كافرين فتأمل في الفرق بين العبارتين . وأراد أن يبين الفرق في الحكم بين أبي وبين الوالدين الشريفين على وجه فيه دقة لأن دقائق الإمام الأعظم ونكات أبي حنيفة النعمان المقدم أدق من ذلك لا يفهمها إلا ذو ذوق سليم وطبع مستقيم فلا يجوز أن تؤخذ أقوال ذلك الإمام الكبير بالجزاف وبخبط فيها خبط عشواء بأبعاد واعتساف . ثم بعد رسمي للجواب تطلعت عسى أن أظفر بمؤيد من الملك الوهاب بنقل من تأليف أولي الأبواب فبعد أيام عثرت بحمد الله تعالى على نقل صريح وجواب مريح في رسالة السرور والفرح للعلامة لساجقلي الحنفي رحمه الله تعالى وشكر سعيه حيث قال : فما معنى قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الكبير ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر وأبو طالب عمه مات كافراً قلت ليس معناه أن والديه ماتا على الكفر حقيقة بل على الكفر مجازاً وهو لا يضرهما لأنهما آمنا بالخالق ولم يوجب أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أهل الفترة إلا الإيمان بالخالق لأن ما لا يستقل به

العقل وهو ما عدا معرفة الخالق من الشريعة لا يضر الجهل به زمن الفترة وأما معرفة الخالق فتجب . وهذا هو المراد بقول الإمام : لا عذر لأحد في الجهل بخالفه ، كما صرح به صاحب التلويح العلامة الثاني المولى التفتازاني ويجب عند الإمام الثواب على إيمان أهل الفترة بالخالق وأبو طالب مات كافراً حقيقة لأنه امتنع من قبول دعوته عليه الصلاة والسلام فغير أبو حنيفة رحمه الله تعالى أسلوب العبارة إشارة إلى هذا فلو كان المراد من كفر والديه الكفر حقيقة لقال : ووالد رسول الله وأبو طالب عمه ماتوا كافرين فاعرف .

وقال : وإنما صرح بقوله ماتا على الكفر لدفع توهم أن دعوة الرسول وصلت إليهما فامتنعا عن الشرك في العبادة فالمعنى أنهما ماتا على الشرك في العبادة وهو لا يضرهما وليس ذلك كفراً حقيقة لهما فوجب لهما الجنة عند أبي حنيفة رحمه الله وغيره .

وقال : إن قلت : كيف يقال أنهما ماتا على الكفر وأنهما في الجنة وذلك أمر عجيب ، قلت ذلك كعكس ما يقول أن فرعون مات على الإيمان وأنه من أهل النار لحدوث إيمانه حال اليأس . قال الله تعالى : ﴿بِأَسْنَأَ﴾ . وقال فالعجب من علي القاري صنع رسالة في الأمر المكروه وصدره بالنقول عن الفقه الأكبر ولم يدر أن المراد بالكفر فيه الكفر مجازاً وهو لا يضرهما كما عرفت وأتى بأخبار آحاد في الأمر المكروه مع أنها قابلة للتأويل على أن العمل بأصول الفقه أولى من العمل بأخبار الآحاد فلعل البرودة أثرت في رأسه فاختل عقله . انتهى كلام الساجقلي .

أقول : قوله بل على الكفر مجازاً فسرّه هو في غير هذا الموضع من الرسالة المذكورة بأنه يسمى ذلك كفراً مجازاً تشبيهاً له بالكفر الذي لا يتحقق إلا بعد دعوة الرسول . قلتُ ويوضحه ما يأتي عن ابن الهمام أن إطلاق الطاعة والمعصية قبل ورود أمرٍ أو نهْيٍ مجاز من إطلاق الشيء على ما يؤول إليه . انتهى .

وقوله لأنهما آمنا بالخالق سيتضح لك في الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى .

وأما قوله أنهما ماتا على الشرك في العبادة ففيه نظر لأنه لم يرد فيهما نقل بذلك فمن أين لنا أنهما كانا يعبدان الأصنام كغيرهما بل ذكر العلامة الزرقاني في شرح الموهب معزياً للعلامة المحقق السوسي والتلمساني محشي الشفا أنه لم يسبق لوالديه شرك وكانا مسلمين كسائر أصوله عليه السلام لأنه عليه الصلاة والسلام انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة . ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله تعالى . وما قاله المؤرخون قلة حباً وأدب . انتهى .

أقول : وهذا كله على تقدير ثبوت تلك العبارة في الفقه الأكبر عن الإمام الأعظم . وقد جنح الأفاضل من العلماء الكبار إلى أن هذه العبارة مدسوسة على الإمام . قال العلامة المحقق السيد الطحطاوي رحمه الله تعالى في حاشية الدر المختار وما في الفقه الأكبر من أن والديه صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر فمدسوس على الإمام ويدل عليه أن النسخ المعتمدة منه ليس فيها شيء من ذلك .

قال الفهامة المدقق ابن حجر المكي في فتاواه والموجودة فيها ذلك لأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري لا لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وعلى تسليم أن الإمام قال ذلك فمعناه أنهما ماتا في زمن الكفر كما مر . وهذا لا يقتضي اتصافهما به كيف والله تعالى يقول : ﴿ وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴾ (٢١٩) والمراد بالساجدين ما يعم الساجدات أي انتقالك من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . انتهى .

وهذا يرد على أبي حيان من جهة حصره تفسير الآية المذكورة بما ذكر في الرافضة . وقد بالغ في الرد عليه ابن حجر المذكور بكلامٍ يطول شرحه هنا وشنع على من نقله عنه وأقره عليه فراجعه إن شئت في شرح المواهب . وكذا

فسر الآية بما ذكره الطحاوي وابن حجر جمع من أئمة أهل السنة كالإمام الفخر الرازي وحافظ السنة السيوطي رحمهما الله تعالى . ويأتي بقية الكلام على هذا المبحث في الباب الخامس إن شاء الله تعالى . فقد استبان ذلك بما ذكر عن العلامتين أن تلك العبارة لا أصل لها عن الإمام الأعظم وناهيك بهما أمانة وجلالة وشاهدي عدل أما أحدهما فأبو حنيفة زمانه والآخر الشافعي في عصره وأوانه . ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢١) وكأي من مسألة دست على الأئمة الكبار كالشيخ الأكبر قدس سره الأعظم والشيخ الشعراي وحامد المحدث كما مر ويؤيده من جهة العقل أنه لا غرض للإمام في ذلك هذه المسألة على الوجه الذي ظن ليتعلق بهذا أصل من أصول الدين الذي يخشى من السكوت عند ضياع أو زلل أم عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد أو خلل .

فائدة مناسبة لما نحن فيه : ذكر صاحب القاموس ما نصه أبو حنيفة كنية عشرين من الفقهاء أشهرهم إمام الفقهاء النعمان . انتهى فتنبه .

فإن قلت : أخبرنا عما علقه الشيخ أبو المتهى على هذه العبارة في شرحه الفقه الأكبر حيث قال : هذا رد على من قال : ماتوا على الإيمان وهم الروافض . قلت : هذه العبارة فاسدة المزاج يحير فيها جالينوس ولو بذل جهده بكل علاج لأنه إن أراد قصر القول بإيمان الأبوين الكريمين على الرافضة رد عليه بأن جماهير أهل السنة قالوا بذلك ومازالوا في القديم والحديث يقولون به وينشرونه بين الناس . وإن أراد أن الرافضة حصروا القول بالإيمان على الأبوين دون سائر الأصول رد عليه أيضاً بأن الروافض قائلون بإيمان جميع الأصول كما نص عليه المحقق صاحب رد المحتار معزياً لأبي حيان . وانظر كيف جمع الوالدين وأبا طالب في عبارة واحدة وحكم عليهم بحكم واحد مع أن الفرق بين العبارتين وبين من مات في الفترة من أدرك البعثة أجلي من البدر ليلة تمامه . فلا يخفى على من له أدنى إِبصار بل لو سأل أصغر طالب من طلبة العلم عن ذلك فإنما يجيب بالفرق ولو بكلام مجمل فإن كان ما قاله هذا الشيخ

عفى الله عنه عن سهو فهو معذور وهو اللائق بأمثاله وحملأ لحال المؤمن على
الصلاح وإن عن جهل وعدم اطلاع فمحذور .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ .

وفي الحديث : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم على أمر
حتى يعلم حكم الله فيه . وإن عن علم ناشئ عن أول نظرة وحرافة فهم أو عن
نقل شاذ فحمق وفضول لا يليق بعاقل فضلاً عن فاضل وإن قصد أن القول
بإيمان الوالدين الشريفين من أسباب الرفض فتلك ظلمات بعضها فوق بعض
تالله لكل مقام مقال ومع هذا ما كل ما يعلم يقال . شعر

ترك الأمور التي تخشى عواقبها في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

قال السيوطي رحمه الله تعالى : روى البيهقي في شعب الإيمان عن بعض
السلف قال من كان عقله أصغر من علمه قتله عقله . ومن تكلم بكل ما يعلم
هدر دمه وكثر ذمه . انتهى . فسبحان الله ما له ولهذه العبارة الشنيعة حتى أسند
الوصف الحسن للرافضة والحال السيئة عزاءها لأهل السنة . هل هو نائم أو في
سنة أفلا كان من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . . أما درى أنه ربما اطلع
على مقالاته العوام ومن هم بعيدوا الأفهام أو حديثوا عهد بالإسلام . . وإني لم
أعز بما ذكرته مجرد التنكيت ولم أرد بما أوردته موارد التبكيت غير أنني كرهت
من أقواله ما قال . وقد ورد الحث على طيب الكلام وحفظ الألسنة . بل قال
شيخنا : على الإنسان أن يتحرى أطيب الشبيء وأحسنه كما قال تعالى : ﴿ وَلَا
تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ جعلنا الله وإياه من أسعد الناجين وأورثنا الجنة من
السابقين بشفاعته سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى والديه وآله وصحبه إلى
يوم الدين .

* * *

الباب الثالث

في بيان أن الوالدين الكريمين وسائر الأصول من أهل الفترة الناجين

لا يخفى أن أهل الفترة هم الأمم بين أزمنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .
وهم على حسب الأحكام لا كما يتبادر إلى بعض الأفهام .

ومحل النزاع بين أهل السنة إنما هو قسم واحد وهو على ما يفيد استقراء
كلامهم من لم تبلغه دعوة الرسول ولم يوحد الخالق بعقله ولم يدخل في شريعة
نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ضالة ولا اخترع ديناً مضلاً ولم يعبد الأصنام وعاش
مدة يمكنه فيها التأمل ولم يتأمل وبقي عمره على حال غفلة عن هذا كله تاركاً
جميعه . فقولنا من لم تبلغه دعوة الرسول كالجنس في التعريف .

وقولنا ولم يوحد الخالق . . الخ فصول وقیود فخرج من وحد الخالق بعقله
أو دخل في شريعة نبي فإنه مؤمن اتفاقاً كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل
والد سيدنا سعيد أحد العشرة المبشرين .

وخرج من غير وبدل فأشرك واخترع فضل وأضل ومات على ذلك فهو من
أهل النار اتفاقاً كعمرو بن لحي .

وخرج من لم يتصف بشيء مما ذكر وعاش في غفلة غير أنه عبد الأصنام
فحكمه موقوف على الامتحان يوم القيامة كما سيجيء في الباب الرابع إن
شاء الله تعالى .

وخرج أيضاً من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقد شيئاً من

ذلك فهو ناج بالاجماع فلم يبق إلا من عاش في غفلة غير موصوف بشيء مما ذكرناه وأدرك مدة يمكنه فيها التأمل .

فهذا القسم هو المختلف فيه بين أهل السنة يدركه من له ملكة بكلام القوم وفطنة .

ولم أر من سبقني إلى هذا الحد ولا من حرره كهذا التحرير فله المنة ومزيد الحمد .

واعلم أن اختلاف أهل السنة في هذه المسألة ناشئ عن اختلافهم في مسألة أصولية وهي : أن الحسن والقبح عقليان أم شرعيان . والأول مذهب الماتريدية والثاني مذهب الأشاعرة غير أن الماتريدية يقولون تارة يستقل العقل بإدراك الحسن والقبح وتارة لا وأنه يترتب على العلم بأحدهما أن يعلم حكم الله تعالى تكليفي أم لا . قال الحنفية قاطبة نعم قد يستقل العقل بإدراك الحسن والقبح ثم اختلفوا في الترتب المذكور وتوضيح المقام بما في المسامرة للعلامة المحقق ابن الهمام وشرحها للمدقق ابن أبي شريف هو أن الأستاذ أبا منصور^(١) الماتريدي وأكثر مشايخ سمرقند رحمهم الله تعالى ذهبوا إلى أنه يترتب على ذلك وجوب الإيمان بالله تعالى ووجوب تعظيمه وحرمة نسبة ما هو شنيع إليه تعالى كالكذب والسفه ووجوب تصديق النبي ﷺ وهو معنى شكر المنعم وروى الحاكم الشهيد رحمه الله تعالى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال لا عذر لأحد في الجهل بخلقه لما يرى من خلق السموات والأرض وخلق نفسه وسائر المخلوقات وعنه أنه قال لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم .

(١) قوله أبا منصور هو تلميذ أبي حنيفة بالواسطة لأن أبا منصور تلميذ أبي نصر وهو تلميذ أبي بكر الجرجاني وهو تلميذ أبي سليمان الجرجاني وهو تلميذ محمد بن الحسن الشيباني وهو تلميذ أبي حنيفة النعمان رحمهم الله تعالى ذكره الساجقلي في منواة رستاله .

وقال أئمة بخارى من الحنفية رحمهم الله تعالى لا يجب قبل البعثة إيمان ولا يحرم كفر وحملوا المروي عن أبي حنيفة على ما بعد البعثة ونقل هذا الحمل عنهم ابن عين الدولة فإنه قال أئمة بخارى الذين شاهدناهم كانوا على هذا القول وحكموا بأن المراد من رواية لا عذر لأحد في الجهل بخالقه . . إلخ ما بعد البعثة وحكموا أيضاً مع قولهم أن العقل مركز الحسن والقبح بأن حكم الله تعالى غير تابع لهما عقلاً إذ لا يمتنع عقلاً أن لا يأمر البارئ تعالى بالإيمان ولا يثيب عليه وإن كان حسناً ولا يمتنع عقلاً لا ينهى سبحانه عن الكفر ولا يعاقب عليه وإن كان قبيحاً بل أقبح القبائح .

قال المحقق الكمال وهذا الحمل من أئمة بخارى أمر ممكن في العبارة الأولى يعني لا عذر لأحد في الجهل بخالقه ولا يخفى عدم تأتية في العبارة الثانية يعني لو لم يبعث الله رسولاً لوجب على الخلق معرفته بعقولهم لكن حقق في التحرير أنه يجب حمل الوجوب في العبارة الثانية على الوجوب العرفي فإن الواجب عرفاً بمعنى الذي ينبغي أن يفعل . قال وهو الأليق والأولى وأقره تلميذه ابن أبي شريف رحمهما الله تعالى ثم شرع المحقق عطر الله مضجعه في تنوير دعوى أئمة بخارى فقال والحاصل مما عليه أئمة بخارى أنه لا يمتنع عقلاً عدم التكليف إذ لا يحتاج سبحانه إلى الطاعة أو يستكثر بها أو يرتاح إلى الشكر وكيف يحتاج إلى شيء أو يستكثر بشيء وهو الغني مطلقاً وكل موجود فقير إليه وكيف يرتاح إلى شيء والارتياح ميل تهتز لأجله النفس فهو انفعال والانفعال في حقه تعالى محال ولا يتضرر سبحانه بالمعصية ولا يأخذه حنق^(١) بسببها فيستشفى بالعقاب إذ الحنق والتشفي نوعان من الانفعال وهو محال عليه تعالى على أن تسمية الإفعال قبل البعثة طاعة ومعصية تجوز إذ هما فرعاً الأمر والنهي

(١) قوله حنق . الحنق بفتح الحاء المهملة كما في المصباح مصدر حنق من باب فرح بمعنى اغتاظ واسم الفاعل حنق بفتح فكسر . انتهى .

لأن الطاعة الإتيان بالمأمور به امتثالاً والكف عن المنهي عنه كذلك والعصيان مخالفة الأمر والنهي فإطلاق الطاعة والمعصية قبل ورود أمر أو نهْي مجاز من إطلاق الشيء على ما يؤول إليه تفكيك تتحقق طاعة أو معصية قبل ورود أمر أو نهْي . ثم انتقل إلى ضرب آخر من الاستدلال فقال بل يجوز العقل العقاب بسبب ذكر العبد اسمه تعالى شكرًا له سبحانه لأن الشاكر ملك المشكور فأقدمه على الشكر بغير إذن تصرف في ملك الغير بغير إذنه فيقتضي العقاب ولأن العبد إذا حاول مجازاة المنعم بجلال النعم دون إذن منه قد يستحق التأديب لمحاولته ما ليس أهلاً له فلولا أنه سبحانه أطلق بفضل العبد ذكر اسمه سمعاً ووعد عليه لخاف من الفتح لعقله عظمة كبريائه وجلاله من أن يسميه تعالى بلسانه إذ يرى أنه أحقر من أن يجري على لسانه ذكر الكبير المتعال . لأنه يشهد بعين بصيرته أن من آثار القدرة ملكوت السموات والأرض وما فيهما من أنواع العالم الذي هو فرد حقير من جملة أفراد بعضها وأنه لا يعرف حقيقة نفسه تفصيلاً ولا ما أودع فيه من القوى فكيف يدرك ذلك من غيره مما لم يشاهده من بديع المخلوقات مع علمه بتمام الاقتدار الإلهي على ما هو أعظم مما وجد من السموات والأرض وما بينهما فسبحان من تقرب إلى خلقه بفضل عظيم برّه تقرب لطف وإفضال وجل عن تقرب الحلول والانتقال فحينئذ لم يبق دليل على الحكم للأفعال والتروك إلا السمع المنقول عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد قام دليل السمع على عدم تعلق الحكم بالعباد قبل البعثة قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٥) .

وجه الاستدلال أنه العذاب مطلقاً في الدنيا والآخرة . وذلك في اللازم الوجوب والحرمة وانتقاء اللازم يقتضي انتقاء الملزوم فالتخصيص بعذاب الدنيا خلاف مقضي إطلاق لفظ العذاب بلا موجب يقتضي التخصيص بل ورد السمع دالاً على إرادة عذاب الآخرة . فمن إطلاق ذلك أنه قال سبحانه في شأن الكفرة : ﴿ كَلَّمَا أَلِيقَ فِيهَا قَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (٨) وفي آية أخرى ﴿ أَلَمْ

يَا أَيُّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴿ فَإِنْ كَلَّأَ مِنَ الْآيَتِينَ يَرشِدْ إِلَى أَنْ الْأَمْرَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ وَاسْتَحَقُّوا عَذَابَ الْآخِرَةِ بَعْضِيَانَهُمْ بَعْدَهُ هُوَ إِرْسَالُ الرُّسُلِ لَا إِدْرَاكَ عَقُولَهُمْ . انْهَى .

هذا وقد أعتنى العلامة الساجقلي رحمه الله تعالى بتوضيح قول الإمام المار آنفاً لا عذر لأحد في الجهل بخالقه فإنه قسم الإيمان إلى سمعي وعقلي وعرف السمعي بما في المواقف من أنه تصديق الرسول فيما علم ضرورة مجيئه به والكفر السمعي هو عدم تصديق الرسول في ذلك وهذان يسميان إيماناً وكفراً حقيقيين سمعيين وكل منهما لا يكون إلا بعد بلوغ الدعوة .

وعرف الإيمان العقلي بأنه تصديق العقل فيما دل عليه من وجود الخالق والكفر العقلي هو الجهل بالخالق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وكل منهما لا يكون قبل بلوغ الدعوة ويسميان إيماناً وكفراً حقيقيين عقليين . انتهى .

بقي شيء آخر وهو الكفر المجازي العقلي وقد عرفه بأنه الشرك في العبادة قبل دعوة الرسول . قال وهذا لا يضر عند أبي حنيفة يعني كما لا يضر لدى سائر أهل السنة . وقال : قال العلامة مولانا سعد الدين رحمه الله تعالى في التلويح وهذا مراد أبي حنيفة من قوله لا عذر لعاقل في الجهل بخالقه لما يرى من خلق الآفاق والأنفس . وأما الشرائع فيعذر بالجهل بها إلى قيام الحجة . وصرح في التلويح أيضاً بأن من لم تبلغه الدعوة وآمن بالخالق بعقله يصح إيمانه عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال : ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بأن الله خالق السموات والأرض وخالق أنفسهم لا خالق غيره ووحده في الخلق مستدلاً بما في سورة لقمان في حق مشركي أهل مكة : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ وبما في سورة الزخرف : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ وبأن اسم الوالد الكريم عبد الله . قلت : فصار اسمه وسمّاً على سمو مسماه .

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لم يوجب على أهل الفترة إلا الإيمان بالخالق وهو إيمان عقلي فلم يتصف والداه بالكفر السماعي ولا العقل الحقيقي حتى لو فرض أنهما فهما بالكفر المجازي يعني المتقدم شرحه والحال أنهما من أهل الفترة لم يكن ذلك كفراً في حقهما . فوجب لهما الجنة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

قال : وقال الإمام النسفي في منار الأصول : وعند الماتريدية من لم تبلغه الدعوة إذا لم يعتقد إيماناً ولا كفراً كان من أهل النار لقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى به ومراده الإيمان والكفر بالخالق لما مرّ ولما صرح به التفتازاني أيضاً في شرح العقائد من أن العقل يستقل في معرفة الخالق بالنظر إلى المصنوعات لأن هذه المصنوعات المشتملة على الأفعال المحكمة والنفوس المستحسنة تدل ضرورة على صانع منتصف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة . انتهى .

قلت : ويؤيده قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١) ، ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ﴾ الآية إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب . والحاصل أن القائل بوجوب الإيمان عقلاً من أهل السنة هو أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى إلا أئمة بخارى ومن وافقهم كالكمال وتلميذه . ولكن اتفق الكل على أن من آمن قبل البعثة بعقله اعتبر إيمانه . ويشهد لهم اعتبار إيمان قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل فقد أجمع أهل السنة على أنهما من أهل التوحيد . ثم إنما يجب الإيمان باستدلال العقل على كل أحد من أهل الفترة إذا عاش مدة يمكنه فيها النظر . أما إذا لم يعيش مدة يمكنه فيها النظر فلا عقاب عليه .

قال المحقق صاحب رد المحتار وأما الاستدلال على نجاة الأبوين بأنهما ماتا في زمن الفترة فهو مبني على أصول الأشاعرة إن مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً . أما الماتريدية فيقولون من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل

ولم يعتقد إيماناً ولا كفراً فلا عقاب عليه بخلاف ما إذا اعتقد كفراً ومات بعد المدة غير معتقد شيئاً .

نعم البخاريون من الماتريديّة وافقوا الأشاعرة وحملوا قول الإمام لا عذر لأحد في الجهل بخالفه على ما بعد البعثة واختباره المحقق ابن الهمام في التحرير لكن هذا في غير من مات معتقداً للكفر كما صرح النووي والفخر الرازي .

وعليه حمل بعض المالكية ما صح من الأحاديث في تعذيب أهل الفترة بخلاف من لم يشرك منهم ولم يوحد بل بقي عمره في غفلة من هذا كله ففيهم الخلاف . وبخلاف من اهتدى منهم بعقله كقس ابن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل فلا خلاف في نجاتهم . انتهى .

تنبيهات :

الأول : قد اتجه بحمد الله تعالى ما حررناه سابقاً من توجيه عبارة الفقه الأكبر بمؤيدات . منها ما مر من شرح الساجقلي لتلك العبارة . ومنها ما وجهه أئمة بخارى من قول الإمام لا عذر لأحد . إلخ . وقد علمت مارجحه الكمال وتقرير تلميذه عليه وقد سبقهما إلى ذلك ابن عين الدولة ونقله صاحب رد المحتار وأقره ومال إليه العلامة الطحطاوي حيث قال بعدما ذكر أن الله أحى الوالدين على أن أهل الفترة ناجون ولو غيروا وبدلوا على ما عليه الأشاعرة وبعض المحققين من الماتريديّة . ونقل الكمال في التحرير عن ابن عين الدولة أنه المختار لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝۱۵ ﴾ . انتهى .

ومنها ما شرحه الساجقلي أيضاً على هذا المروي مؤيداً بما نقله عن العلامة التفتازاني والإمام النسفي وغيرهما أيظن في هؤلاء الفحول أنهم لم يطلعوا على عبارة الفقه الأكبر على فرض وجودها أو اطلعوا عليها وما فهموها فلا أقسم

بمالك يوم الدين ومن أوجب بر الوالدين أن ذلك هو الظن المنهي عنه في محكم الكتاب . ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

الثاني : قد استفدنا من زيادة الماتريدية الاتفاق على أن الوالدين السيدين الكريمين من أهل الفترة الناجين . ونقل الساجقلي عن ميزان الأصول أن عامة أصحاب الحديث على أنه لا يجب على أهل الفترة إيمان ولا يحرم عليهم كفر حتى لو ماتوا على الإيمان أو على الكفر قبل بلوغ الدعوة إليهم فهم في مشيئة الله تعالى . انتهى .

قلتُ : ويجب حمله على أهل فترة عبدوا الأصنام أو انقضى عمرهم في غفلة ليتأتى العمل بجميع ما ورد في أهل الفترة من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية والمسائل الأصولية وإلا فيبقى التعارض بين الأدلة وليس هذا شأن أهل الحديث ولا أهل الأصول كما صرح به شيخنا في حاشية المصطلح ونص عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب .

قال الساجقلي : وما عليه عامة أصحاب الحديث هو اختيار مشايخ بخارى إلا أنهم قالوا : إن أهل الفترة من أهل الجنة في الأحوال كلها بمنزلة الصبيان والمجانين إذ لا يتصور الإيمان السمعي لعدم بلوغ الدعوة إليهم . قال : ووالدا رسول الله ﷺ من أهل الفترة فهل يقول عاقل أن الله لا يدخلهما الجنة لاسيما وهما والدا حبيبه صلى الله عليه وسلم وقد وعده سبحانه بأنه يرضيه . قال تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ولا يرضى عليه الصلاة والسلام إلا بدخول أبويه الجنة قطعاً . انتهى .

وإما بالنظر إلى الأصل المار عن الإمام أبي حنيفة النعمان المقدم فهما من الموحدين بل لو نظرنا إلى الأدلة القرآنية السابقة وهي ولئن سألتهم الآيات وجدنا هذا الحكم شاملاً لجميع أهل مكة والذين كانوا قبل البعثة تأمل . ومن الظن أن ظاهر مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في هذا الباب أضيق

مهيع^(١) فجل ربنا سبحانه ماضاق امر علينا إلا برحمته اتسع .

الثالث : قد عرف عامة العلماء الشكر العرفي بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله من سمع وبصر ونظر وغيرها فصرف البصر إلى المشاهدات وصرف النظر إلى ما يفيد دلالتها على وجوبه تعالى وقدرته وإرادته وصرف السمع إلى تلقي أوامره ونواهيه ووعدته وكذا صرف القدم واليد سعياً وتناولاً فيما يرضي الله عز وجل ، وهلمّ جرّاً حتى القلب في عدم ركونه إلى غيره تعالى . فإن قيل هذا أعم وأوسع دائرة من تفسير ابن الهمام في المسامرة حيث جعل الإيمان بالله تعالى وتعظيمه وما عطف عليهما كما مر هو معنى شكر المنعم . قلنا كل ذلك مندرج تحت تعظيمه جل وعلا كما ذكره شارحها فهو كما قيل : « كل الصيد في جوف الفرا » وفيما ذكرناه كفاية عما نص عليه علماء أصولنا وفقهاء مذهبنا رحمهم الله تعالى .

قال في المسامرة وشرحها وأما الأشاعرة رحمهم الله تعالى فقد أجمعوا على أنه لا يجب قبل البعثة إيمان ولا يحرم كفر وإنما وجب الإيمان وسائر العبادات وحرم الكفر وسائر المحرمات بورود الشرع . وإنه ليس للفعل نفسه حسن ولا قبح وإنما حسنه ورود الشرع بالإذن فيه وقبحه وروده بالمنع منه فإذا ورد الشرع بإطلاقه أو حظره حكمنا بأنه حسن أو قبيح فلولوا ورود الشرع لم يعرفا . انتهى .

وقال في سبيل النجاة وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة وهي مسألة مفرعة على قاعدة أصولية متفق عليها عند الأشاعرة . وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع والطاعة . ومرجعها إلى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقلين وإنكارهما متفق عليه بين الأشاعرة .

(١) قوله مهيع : المهيع : الطريق .

وقال مسئلة من لم تبلغه الدعوة ترجع إلى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الأصول لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ ﴾ (١٢) . انتهى .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في المحصول شكر المنعم لا يجب عقلاً لأنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ولا تعذيب قبل البعثة أما الملازمة مبينة وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٩) فانتفى التعذيب إلى زمن البعثة وإلا وقع الخلف في قوله تعالى وهو محال .

وذكر مثل ذلك صاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوي في المنهاج وغيرهم . وقال القاضي تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى : من لم تبلغه الدعوى يموت ناجياً .

وقال البغوي على التهذيب : من لم تبلغه الدعوى لا حجة عليه . وللرافعي في الشرح نحوه .

وذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم على مسألة أطفال المشركين : المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٩) قال : وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغ الدعوة فغيره أولى . انتهى .

فقد جعل الآية الكريمة دليلاً على عدم تعذيب الفريقين . أحدهما بعبارة النص والآخر بدلالته .

وقال العلامة الأبّي من أجل علماء المالكية في شرح مسلم : ولما دلت القواطع القرآنية على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة يبعث الرسول علمنا أن أهل الفترة غير معذبين .

وخلاصة الكلام في هذا المقام كما قاله الحافظ السيوطي طيب الله

مهجعه : قد أطبقت أئمتنا الأشاعرة في الأصول والشافعية في الفقه على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ويدخل الجنة . وهذا لا خلاف فيه عند هؤلاء .

وقد نص عليه الإمام الشافعي في الأم والمختصر وتبعه أصحابه واستدلوا على ذلك بثمان آيات :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ . أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥ ﴾ الآية ، قال : إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو تأتية من الله بينة .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٧ ﴾ . أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « الهالك في الفترة يقول رب لم يأتي كتاب ولا رسول ثم قرأ الآية الكريمة » .

الثالثة : قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٢٦ ﴾ . أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عطية العوفي نحو ما قبله .

الرابعة : قوله تعالى وتبارك اسمه : ﴿ آيَاتِنَا ۝ ﴾ . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقاتدة رضي الله عنهم في هذه الآية قال : لم يهلك الله مكة حتى بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا .

الخامسة : قوله تعالى جده : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۝ ﴾ .

السادسة : قوله لا إله غيره : ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُتَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ ﴾ . أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم

عن قتادة لهذه الآية قال : ما أهلك الله من قرية إلا بعد الحجة والبيعة .

السابعة : قول من تقدس ذاته وتعالى أسماؤه وصفاته : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِغُونَ فِيهَا رَبًّا أَنْزِلْنَا نَعْمَلْ صَبْلًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ . قال المفسرون احتج عليهم ببعثة النبي ﷺ وهو المراد بالنذير .

الثامنة : قول من لا خير إلا خيره : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رُبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى يَظْلِمُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (١) . أورد الزركشي رحمه الله تعالى هذه الآية في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة إن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالشرع . واستدل كثير بهذه الآية على أن الغافل لا يكلف انتهى .

ولكل من مسالك الحنفاء للإمام السيوطي رحمه الله تعالى وشرح المواهب للعلامة الزرقاني رحمه الله تعالى . أقول : ينبغي حمل هذه النصوص والنقول كلها على أهل فترة عاشوا في غفلة ليتأتى العمل بجميع ما ورد من النصوص في أهل الفترة التي ظاهرها التعارض . وقد مر بعضها ويأتى الآخر والله الموفق . وأذكر ما مر من تعريفنا أول الباب وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى .

وهذا ما تيسر من النقل عن السادات الأشاعرة من أئمة الشافعية والمالكية كالأبي^(١) والسنوسي والتلمساني وغيرهم رحمهم الله تعالى . وجزم بذلك العلامة الزرقاني وهو من أجل علماء المالكية . وقد مر في الباب الأول النقل عن الإمام موفق الدين ابن قدامة الحنبلي على أن الحنابلة ماتريديّة والإمام أحمد رضي الله عنه فخر كبار أئمة الحديث .

وقد مر عن العلامة الساجقلي معزياً لميزان الوصول أن عامة أصحاب

(١) قوله كالأبي : بضم الهمزة وكسر الباء الموحدة وبالياء التحتية المشددتين نسبة إلى آبة قرية من قرى تونس . انتهى .

الحديث موافقون لما أطبق عليه الأشاعرة وأنه اختيار مشايخ بخارى كما سلف .

(مهمة) :

قد علمت إجماع الأشاعرة ومن وافقهم من الماتريدية على نجاة أهل الفترة مطلقاً وهو مبني على أصلين : الأول آية ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فهي قاضية بعمومها بنفي التعذيب عنهم سواء بلغتهم دعوة رسول سابق أم لا . والثاني : إن من لم تبلغه الدعوة كان معذوراً . وهذا يفيد أن من بلغته دعوة الرسل الماضين ليس بمعذور فلا يكون ناجياً لأن مفاهيم أقوال العلماء معتبرة فبين الأصلين تناف لا يخفى .

ولزم من الثاني أيضاً محذور آخر وهو أنا لو اعتبرنا هذا الإطلاق لاستحال وجود أهل الفترة في زمن ما وقد وردت بها الأحاديث الشريفة . والذي يظهر للعبء الضعيف في الجواب عن هذا الإشكال أن العموم في الآية الكريمة وأمثالها يبقى على حاله . وأن المراد من الدعوة هي دعوة الرسول الآتي الماضي وبه يندفع التنافي ويرتفع المحذور ويحصل التوفيق وبالله التوفيق . يؤيده قولهم لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل البعثة وهذا بالاتفاق كما سبق عن الكمال . وقد ذكر المحقق الأبى على شرح الإمام مسلم رحمهم الله تعالى أن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدرکوا الثاني كالعرب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ . أفاده العلامة الزرقاني والحافظ السيوطي وهو من الحسن بمكان وتعقبه شيخنا بأن ذكر عيسى عليه السلام لو أبدل بذكر إسماعيل لكان أنسب وأظهر بالنسبة إلى العرب وكان يبتنى على القول بأن رسالة الرسول تنقضي بوفاة . قلت : ولكنه قد افاد ما تقدم أنه لا عبرة ببلوغ دعوة من سبق من الرسل وأن القول باعتباره قول مرجوح كما صرح في شرح المواهب بل العبرة

بالمرسل إليهم . فقول السيوطي في المسالك أيضاً أن من بلغته دعوة نبي من السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه أما هو القول بالمرجوح لكن ينفيه قوله لا نزاع فيه وأما مراده . من صحت الأحاديث بتعذيبه إلا أن هذا لا يتوقف تعذيبه على بلوغ دعوة لكفره بما لا يعذر به تأمل .

ثم قال على أن العرب ما كانوا مكلفين بشريعة إبراهيم ولا غيره عليهم السلام كما دلت عليه الأحاديث وصريح القرآن .

وحكى في شرح الهمزية الاتفاق على ذلك نص عليه الإمام السيوطي وأقره العلامة الزرقاني . ويؤيده قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام نفعا الله به في أماليه : كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا ﷺ قال : فعلى هذا ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلى أن تدرس شريعته فيصير كل من أهل الفترة هذا كلامه فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك لأنهما وإن كانا من ذرية إسماعيل عليه السلام إلا أن شريعته اندرست وليس من ذرية عيسى عليه السلام ولا من قومه . قلت : ينبغي أن يكون جميع قريش بل العرب كلهم من أهل الفترة بلا شك لصدق الدليل عليهم تدبر فلا يرد أن أهل الفترة الذين بلغتهم دعوة موسى وعيسى عليهما السلام بأخبار اليهود والنصارى غير ناجين .

قال العلامة السيوطي إذ لو اعتبرنا مطلق دعوة رسول سابق لاستحال وجود أهل الفترة لاستحالة وجود من لم تبلغه الدعوة لأنه ما من فترة إلا وقبلها نبي إلى آدم عليه السلام ولا يمكن أن يوجد في الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبياً ودعا الناس إلى التوحيد .

ووقائع الأنبياء مع قومهم مشهورة جداً ولو لم يكن إلا دعوة الطوفان الذي أغرق الناس جميعاً لكفى . انتهى وهو في غاية الحسن .

قلت : وأيضاً قصة الكليم مع فرعون وقومه لو لم تكن إلا هي لكفت .

قال : وأيضاً اعتبار ذلك يؤدي إلى اضمحلال الأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في أهل الفترة التي من جملتها أحاديث الامتحان . انتهى .

فلله الحمد على ما ألهم ونسأله تعالى أن يحفظنا من الامتحان آمين . . فمن تدبر وتفكر فيما قلناه ونظر بعين البصيرة فيما رويناه عن فحول أهل الدين القويم ونقلناه تحقق نجاة الوالدين الشريفين وعلم أنهما من أهل الجنة بلا ريب ولا مين .

وهذا مع قطع النظر عما ثبت لهما من المزايا كما ستقر عينك بها إن شاء الله تعالى في الأبواب الآتية .

وأما بالنظر إلى ما ذكر في هذا الباب فسلامتهما لمجموع أمور بعضها كافٍ في النجاة : أحدها أنهما من جملة أهل الفترة الناجين . والثاني والثالث والرابع تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين . وقصر عمرهما وعموم الجهل في الناس .

وبيان ذلك أن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة كما مر عن سلمان الفارسي . ورواه البخاري عنه أيضاً وهذا هو المشهور كما قال ابن كثير وهناك أقوال ثلاثة دون هذا في الصحة والعدد . وكانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً . وفقد من يعرف الشرائع إلا نفرأ يسيراً من أحبار أهل الكتاب وغيرهم كزيد بن عمرو بن نفيل .

روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم فهذا يؤيد ما تقدم أنه لم يبق إذ ذاك من هو على طريقة مستقيمة إلا القليل . ولم يعهد للوالدين عمر طويل بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش بل قبضاً في إبان

الشباب ولم يبلغا سن من بلغ الأحقاب فقد صحح الحافظ صلاح الدين العلائي رحمه الله تعالى أن الوالد الكريم عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة وحين حملت منه السيدة الأمانة بسيد العالم صلى الله عليه وسلم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرأ لأهله فمات بها والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح . وإن الوالدة الكريمة ماتت وهي في حد العشرين تقريباً . ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في التوحيد لاسيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال . والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما للرجال من الدين والشرعة في زماننا فكيف بزمن الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه . ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا أبعث الله بشراً رسولاً وقالوا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعث على ما هم عليه فأنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ كان بينهم وبينه أزيد من ثلاث آلاف سنة . والكل من مسالك الحنفاء والمقامة السندسية كلاهما للإمام السيوطي واليواقيت والجواهر للعلامة العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما . ثم ما ذكر من تأخر زمانهما وبعدهما عن الأنبياء مبني على أن أهل الفترة مكلفون بشريعة من قبلهم وهو قول مرجوح والراجح أنهم غير مكلفين بذلك بل جميع العرب غير مخاطبين بشريعة من قبلهم كما في شرح المواهب للعلامة الزرقاني معزياً للإمام المحقق الآبىء والحافظ السيوطي وغيرهما رحمهم الله تعالى وقد مر شرحه آنفاً في المهمة .

ثم بعد اللتيا والتي لا تكاد تجد ماتريدياً ولا أشعرياً إلا وقائل بنجاة الأبوين قطعاً فقد انعقد الإجماع بين أهل السنة على ذلك ولا اعتداد بمن خالف والله الموفق .

وما وقع الجزم به من الحكم في حق الأبوين الكريمين يجري قطعاً في حق

سائر الاء الكرام وعلله الأئمة كما نص عله العلامة ابن حجر وأقره في شرح المواهب .

فائدتان :

قد علمت ما مشى عله الأشاعرة من أن من لم تبلغه الدعوة غير مكلف ويدخل الجنة على ما مر غير أنهم اختلفوا فمن قائل أنه ناج واختباره السبكي ومن قائل هو مسلم وأشار إلى ترجيحه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى إلا أنه قال هو في معنى المسلم وقد مشى على هذا السبيل في والذي رسول الله ﷺ قوم من العلماء حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وغيره وجزم به الآبي في شرح مسلم وعول عله شيخ الإسلام المناوي رحمه الله تعالى وكان إذا سئل عنهما يوجب به كما أفاده العلامة الزرقاني . قلت : الظاهر أنه لا منافاة بين القولين المحكيين لأن من وصف بالنجاة ودخول الجنة هو في معنى المسلم .

الثانية : قد علمت الفرق بين طريق جمهور الماتريدية وبين طريق الأشاعرة من أن الأشاعرة قالوا : إنه لا يعلم حكم من أحكام الله تعالى إلا بعد البعثة وهؤلاء الماتريدية قالوا : قد يعلم العقل بعض الأحكام قبل البعثة فحيثئذ قد استقر الأمر عندهم على وجوب الإيمان العقلي المترتب على الحسن والقبح العقليين كما سبق لكن معنى هذا الكلام كما يستفاد من مسامرة ابن الهمام أن العقل إنما يعلم ذلك الوجوب بخلق الله تعالى كما أنه لا يدرك الحسن والقبح في الفعل إلا بإطلاع الله تعالى فحيثئذ فالموجب لمقتضى الحسن والقبح الذين يدركهما العقل هو الله تعالى يوجهه على عباده ولا يجب عله سبحانه شيء وإنما العقل آلة للبيان وسبب عادي يعرف به ذلك الحكم . وهذا باتفاق الحنفية . انتهى .

وقوله : إن العقل يعلم وجوب الإيمان بخلق الله تعالى . . إلخ يفيد أن من خلق الله فيه هذا العلم من أهل الفترة يجب عليه الإيمان ومن لا فلا وعليه فيقال في الأصل المروي عن الإمام لا عذر لأحد . . إلخ ، إذا كان محمولاً على ما قبل البعثة كما ذهب إليه مشايخ سمرقند هذا فيمن خلق الله فيه العلم بذلك لا مطلقاً ويرشح بالقاعدة الأصولية أنه لا يجوز التكليف عقلاً بما لا يطاق باتفاق الحنفية فإنه إذا لم يخلق الله ذلك وليس هناك دليل سمعي وقلنا بوجوب الإيمان عقلاً ومن لم يؤمن فعلية العقاب فهو عين التكليف بما لا يطاق .

وقد قال ابن الهمام في المسaire لا أعلم أحداً من الحنفية جوز عقلاً تكليف ما لا يطاق . ويرشحه أيضاً أن وجوب الإيمان العقلي مقيد بما إذا كان هناك مدة يمكن فيها التأمل كما سلف .

فبناءً على ما ذكر ينبغي أن يقيد وجوب الإيمان العقلي بقيدين : أحدهما أن يخلق الله العلم بالوجوب بأن يشرق على قلبه نور يهتدي به كما قالوا في قس بن ساعدة أن توحيده كان بسبب نور وجده في قلبه . والآخر أن يدرك الشخص مدة يمكن فيها التأمل وإن لم يوجد فهو معذور تأمل .

قال الكمال : وأما المعتزلة فذهبوا إلى وجوب جميع الأحكام عقلاً واستثنوا منها مسائل وهي قصر العقل عن إدراك الحسن والقبح فيها قائلين بأن الشرع يأتي كاشفاً عنها كجسن صوم آخر يوم من رمضان وقبح صوم أول يوم من شوال وذهبوا إلى أن العقل إذا أدرك الحسن والقبح أوجب بنفسه مقتضاهما .

واتفق الحنفية أيضاً على نفي ما بنته المعتزلة على إثبات الحسن والقبح العقليين من القول بوجوب أمور على الله تعالى منها وجوب الأصالح ووجوب الرزق ووجوب الثواب على الطاعة والعقاب على المعاصي إن أمات مرتكبها بلا توبة ووجوب العوض في إيلام الأطفال والبهائم بناءً على منع كون مقابلاتها خلاف الحكمة .

بل قالت الحنفية ما ورد به السمع من وعد الرزق ووعد الثواب على الطاعة وعلى ألم المؤمن حتى الشوكة يشاكها محض فضل وتطول منه تعالى دون وجوب عليه عز وجل لكن لا بد من وجود ذلك الموعود به لأجل وعد الصدق لا يحصى ثناء عليه سبحانه . ومالم يرد به سمع كتعويض البهائم عن آلامها لم نحكم بوقوعه وإن جوزه العقل فقد خالف المعتزلة في ذلك كله . انتهى .

فحيث قد اتضح الفرق وزال الإشكال بين مذهب أهل السنة من الحنفية وبين ذوي الاعتزال لا يشتبه عليك الحال فتقع في مزالق الأوحال فرحم الله امرأ سلك سبيل الإنصاف وعدل عن طريق التعصب وجادة الاعتساف . . وأستغفر الله العظيم .

* * *

الباب الرابع

في الذين يمتحنون يوم القيامة من أهل الفترة

قد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون إلى الامتحان بين يدي الملك المنان فمن سبقت له السعادة أطاع ودخل الجنان ومن سبقت له الشقاوة عصى وأدخل النيران .

منها ما أخرجه البزار والحاكم في المستدرک عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولاً لكننا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرايتكم أن أمرتكم بأمر تطيعوني فيقولون نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيطاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أجرنا منها فيقول لهم ألم تزعموا أنني إن أمرتكم بأمر تطيعوني فيأخذ على ذلك موافقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فيقولون ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول أدخلوها داخرين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين رواه السيوطي في مسالك الحنفاء وأقره الذهبي كما في شرح المواهب .

ومنها حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنهما معاً مرفوعاً : « أربعة يحتجون يوم القيامة رجلٌ أصمٌ لا يسمع شيئاً ورجلٌ أحمق ورجلٌ هرمٌ ورجلٌ مات في فترة » أخرجه الإمام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه

وفيه : وأما الذي مات في الفترة فيقول ربّ ما أتانا لك رسول فيأخذ موثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن أدخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها .

ذكر العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى في شرح المواهب قوله : وأما الذي مات في الفترة . . الخ قبله فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام ولا أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبحر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة . . الحديث . ذكره في مسالك الحنفاء . انتهى .

ومنها ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً قال إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة وذكر نحو حديث الأسود . قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرأوا إن شئتم ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وإسناده صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقل من قبل الرأي فله حكم الرفع كما رواه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى .

وأحاديث هذا الباب تزيد على ذلك والمصحح منها ما ذكرنا . كما أفاده العلامة الزرقاني فإن قيل فماذا تصنع بالقاعدة التي أجمع عليها الأشاعرة ونص عليها الإمام الشافعي في الأم وتبعه أصحابه وهي : أن من لم تبلغه الدعوة يكون ناجياً ويدخل الجنة من غير توقف على شيء آخر كما مر مصرحاً به عن فحوص العلماء مع أحاديث هذا الباب حيث إنها ناطقة بأن أمرهم موقوف إلى الامتحان : أهما قسماً متباينان أم مترادفان لأن صريح تلك القاعدة الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان . ومقتضى هذه الأحاديث التوقف وعدم الجزم بشيء . قلت : قد تردد الحافظ السيوطي في جواب هذا الوارد ففي بعض كتبه جزم بالتغاير وهو الموافق لصريح جزمه بالنجاة ودخول الجنة كما سبق . وفي بعض كتبه جزم بالترادف قال ويكون

معنى قولهم أن من لم تبلغه الدعوة يكون ناجياً أي بشرط لا مطلقاً وقولهم لا يعذب أي ابتداءً كما يعذب من عائد بل يجري فيه الامتحان ويكون امتحانه في الآخرة منزلاً منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا وعصيانه في الآخرة بمنزلة مخالفته للرسل موافقة لفهم أبي هريرة رضي الله عنه من الآية التي استدل بها الأشاعرة على النجاة مطلقاً وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ١٥ فالمراد من الرسول عنده ما هو أعم من رسل الدنيا ورسل الامتحان في الآخرة ذكر العلامة الزرقاني . أقول : فهم هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه لا يعادله شيء وكذا إمام أهل السنة إلا أنا نختار قوله الآخر وهو الحكم بالمغايرة قطعاً وهذا هو الموافق للظاهر من نصوص جميع القوم الذين منهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى والإمام الفخر الرازي والقاضي البيضاوي والقاضي تاج الدين السبكي والعلامة البغوي والإمام الرافعي والإمام النووي والعلامة الآبىء والعلامة الزركشي فهؤلاء الأئمة صرحوا بأن من لم تبلغه الدعوة يكون ناجياً ويدخل الجنة من غير توقف على الامتحان فلا محيص لنا عن الجزم بأن ما صدق عليه أحاديث هذا الباب غير ما صدقت عليه تلك القاعدة بحمل هذه الأحاديث على أهل الفترة الذين لم يعاندوا ولم يغيروا ولم يبدلوا وعاشوا في غفلة ولكنهم عبدوا الأصنام كما هو صريح حديث ثوبان رضي الله عنه ويحمل القاعدة على أهل فترة عاشوا في غفلة وماتوا على ذلك من غير أن يصدر منهم عناد ونحوه ولا عبادة أصنام كما مر في تعريف أهل الفترة بدليل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ ١٦ . وقد استدل بهذه الآية الكريمة السيوطي نفسه في سبيل النجاة على أن الغافل غير مكلف وصرح بأن من لم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا هو الصواب . وقد أطبق عليه أئمتنا الأشاعرة وأئمتنا الشافعية . انتهى .

(تنبيه) :

قدمنا أن حكم أهل الفترة عند أهل الحديث موقوف غير محكوم الآن عليهم بشيء كما نص عليه الساجقلي فلعل الحافظ السيوطي تارة وافق المحدثين كما أنه تارة وافق أهل الأصول والفقهاء وكان المحدثين والله أعلم أخذوا بهذه الأحاديث واقتصروا عليها . كما أن الشاعرة ومحققي الماتريديّة أخذوا بالآيات واقتصروا عليها .

وما أحسن الجمع بين الأدلة والعمل بها تأمل .

ويدل على مختارنا ما أفاده في مسالك لحنفاء معزياً لعقيل بن أبي طالب أن أهل الفترة ليسوا في الحكم سواء . فإن منهم من صحت أحاديث بتعذيبه وهو من عاند فأشرك واخترع وبدل كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي .

ففي الحديث الشريف : « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار » رواه البخاري ومسلم .

ومنهم من وحد الله تعالى بعقله أو تشرع بشريعة من قبلنا كقس بن ساعدة وتبع وقومه وقد مر شرحهما ويأتي .

منهم من خلى عن هذا كله انتهى . فعلى مقتضى قاعدة الأشاعرة هو ناج ويدخل الجنة وعلى مقتضى أحاديث الامتحان هو موقوف على المشيئة وعليه المحدثون وعلى تقريرنا ينقسم إلى نوعين : نوع عبد الأصنام وفيه وردت أحاديث هذا الباب ونوع عاش في غفلة عن جميع ذلك وفيه وردت الآيات وهو ما أطبق بنجاته الأشاعرة من غير تأويل للدليل وصرفه عن ظاهره ولا تقدير في كلام القوم بل تبقى الآية الكريمة دالة بظاهرها على انتفاء العذاب قطعة عمن عاش في غفلة عن جميع ذلك .

ومن القواعد المقررة أنه إذا اختلف كلام أمام يؤخذ بما يوافق الأدلة الظاهرة ويعرض عما خالفها كما صرح به المحقق صاحب رد المحتار معزياً للعلامة ابن حجر . انتهى .

وما جنحنا إليه سالم من التأويل والتقدير المذكورين على أنه وردت آيات تدل على انتفاء عذاب الآخرة بالخصوص . فمنها قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَلِفْنَا فِيهَا قَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَا يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(١) ومنها : ﴿مِنْكُمْ﴾^(٢) الآية .

قال ابن الهمام فإن كلاً من الآيتين يرشد إلى أن الأمر الذي قامت به الحجة عليهم واستحقوا عذاب الآخرة بعصيانهم بعده هو إرسال الرسل انتهى كما مر .

والآيات الواردة في هذا الباب الدالة على انتفاء عذاب الآخرة بالخصوص تزيد على ما ذكرنا ومثل التقسيم الذي ذكرناه عن عقيل بن أبي طالب نقله الزرقاني عن الآبي . ونقل عنه أيضاً أن تلك الأحاديث أخبار آحاد فلا تعارض القاطع ثم لو كان مراد الأشاعرة غير ما ذكرنا وكان الحكم عندهم في من لم تبلغه الدعوة التوقف إلى الامتحان لكان الولي لهم أن يقولوا : من لم تبلغه الدعوة فهو على خطر فإنه أوجز وأخصر ولا داعي إلى الجزم بالنجاة فعلى ما قررناه صار ما عدا حديث ثوبان رضي الله عنه من قبيل العام الذي أريد به الخصوص ، فإن خص منه من لم يعبد الأصنام ومضى عمره في غفلة سواء أدرك مدة يمكنه فيها التأمل أم لا .

فالأولى فيها الخلاف بين الأشاعرة وجمهور الماتريدية . والثانية لا خلاف في النجاة فيها كما مر وخص منه أيضاً من وحد الله تعالى بعقله ومن تشرع

(١) سورة الملك ، الآية ٨ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٧١ .

بشريعة نبي من الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم . كما خص من الكل من صح تعذيبه من غير توقف .

والظاهر أن آية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وأمثالها من قبيل العام الذي أريد به الخصوص .

وأما قول الأشاعرة ومحققي الماتريدية لا يجب إيمان قبل البعثة ولا يحرم كفر . فينبغي أن يحمل على من صارت الآية الكريمة والقاعدة الأصولية دليلين عليه . وهو من لم يؤمن وعاش في غفلة عن كل شيء حتى مات .

وأن يكون المراد من قولهم لا يحرم كفر لا يحرم عدم الإيمان بمعنى أنه كما لم يجب إيجاده لا يحرم عدم الاتصاف به فالعطف حيثنـد للـتفسير ولا يصح أن يكون المراد منه لا يحرم الشرك بالله تعالى لأنها قد وردت الأحاديث الصحيحة في بعض أهل الفترة بالتعذيب وفي بعض آخر بالتوقف على الامتحان كما سبق .

فالذي يـنبغي المصير إلى ما قلنا .

وأما ما مر من حديث : « مهما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار » فينبغي أن يحمل على ما بعد البعثة أو وعلى ما قبلها ممن كان على نهج عمرو بن لحي . وهذا ما تيسر للفهم القاصر من التوفيق بين الأدلة الواردة في شأن أهل الفترة التي ظاهرها التعارض والله تعالى أعلم .

فقد تبين بما ذكرناه هنا وفي الباب الذي قبله أن أهل الفترة ستة أقسام :

قسم وحد الله تعالى بعقله بسبب نورٍ وجده في قلبه .

وقسم دخل في شريعة حق قائمة الرسم .

وقسم غير وبدل فأشرك واخترع فضل وأضل .

وقسم عاش في غفلة عما ذكر إلا أنه عبد الأصنام .

وقسم عاش في غفلة عن هذا كله لم يتصف بشيء منه .

وهذا الأخير تحته قسمان :

قسم طال عمره وأدرك مدة يمكنه فيها التأمل .

وقسم قصر عمره ولم يدرك ذلك .

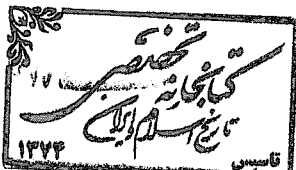
فمن القسم الأول قس ابن ساعدة الأيادي وزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد أحد العشرة وهو عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وعبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

فأما قس بن ساعدة فهو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية وأول من اتكأ على عصا في الخطبة وأول من قال أما بعد ، وأول من كتب من فلان إلى فلان وكان خطيب العرب قاطبة .

روى الأزدي وغيره من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : « رحم الله قساً كآني أنظر إليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه ، فقال بعض قومه نحن نحفظه فقال : هاتوه فذكروا خطبته المشحونة بالحكم والمواعظ » انتهى .

ومن ذلك ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه في سوق عكاظ فقال في خطبته سيعلم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه . انتهى . وعاش ثلاثمائة وثمانين سنة وذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة . انتهى من المواهب وشرحها .

قلت : فعلى هذا يكون قد أدرك عيسى عليه السلام .



وأما زيد بن عمرو فإنه كان ممن طلب التوحيد وجانب الشرك . روى ابن سعد والفاكهي عن عامر بن ربيعة حليف بن عدي بن كعب قال : قال لي زيد بن عمرو أنني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل ومن كانا يعبدان وكانا يصليان إلى هذه القبلة وأنا أنتظر نبياً من بني إسماعيل يبعث ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقّه وأشهد أنه نبي وإن طالت بك حياة فأقرأه^(١) مني السلام . قال عامر فلما أعلمتُ النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه . وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولاً . ذكره في فتح الباري . وقال عليه الصلاة والسلام في كل من قس وزيد : « أنه يبعث أمة وحده » انتهى . ذكره القسطلاني والزرقاني رحمهما الله تعالى .

وقال في المسالك معزياً لتذكرة ابن مكتوم أن جماعة من الجاهلية كانوا على إرث من إرث إبراهيم منهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وقس وزيد وكانوا متمسكين بأشياء منها تحريم الأمهات والبنات وبنات البنين وبنات البنات والأخوات وبنات الأخوات والعمات والخالات . انتهى . وسيأتي الكلام على مناقب عبد المطلب في آخر الباب . وفي الباب الذي بعده إن شاء الله تعالى .

ومن القسم الثاني ورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث وتبع وقومه من حمير وأهل نجران بفتح النون وسكون الجيم بلد قريب من اليمن فهؤلاء تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية . قاله في المواهب وشرحها .

ومن القسم الثالث عمرو بن لحي وصاحب المحجن وزان مقود خشبة في طرفها اعوجاج . فأما عمرو فقد مر له شرح ويأتي . وأما صاحب المحجن فهو الذي كان يسرق الحاج بمحجنه فإذا بصر به قال إنما تعلق بمحجني . ففي

(١) قوله : فأقرأه هو من باب الأفعال لأنه تعدى إلى مفعولين أحدهما الضمير والآخر الاسم الظاهر . وأما قرأ الثلاثي فإنه يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فقط . انتهى .

حديث مسلم وأحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان »^(١) فذكر الحديث وفيه : « ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به » ذكره في المواهب وشرحها .

وأما القسم الرابع فأمرهم موقوف إلى يوم القيامة كما صرحت به الأحاديث الصحيحة وهم أكثر العرب .

وأما القسم الخامس فهو غير ناجٍ عند جمهور الماتريدية ناجٍ عند الأشاعرة ومحقق الماتريدية .

وأما القسم السادس فهو ناجٍ بالإجماع . ويشهد لجمهور الماتريدية قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُنصِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾^(٢) قال شيخنا قدره المفسرون بستين سنة وبه ورد حديث الجامع الصغير من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عليه في العمر .

قلت وفي الصحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة . قال البخاري رحمه الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ نَقَمَلْ أَوَلَمْ نُصَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ . واعلم أن جميع ما قرناه من أول الباب إلى هنا من تضارب القواعد وتعارض الأدلة إنما هو ناشئ من طريق الأشاعرة ولا يغرب عنك ما مر عن رد المحتار أن الإمام الفخر الرازي والنووي صرحا بأن من كان مشركاً من أهل الفترة فهو في النار ونقله أيضاً عنهما الزرقاني مع أنهما مصرحان بما أجمعت عليه الأشاعرة كما سبق في الباب الذي قبله ولكن الأحسن من ذلك المار كله أن نقول : إنما ورد من الأحاديث من كل ما عارض الآيات أخبار

(١) جامع الأصول ٧/ ١١١ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٣٢ .

آحاد فلا تعارض القاطع كما تخلص به بعض العلماء من أئمة المالكية في مثل هذا المقام كما مر .

وأما مذهب جمهور الماتريدية فسالم من هذا كله لأن القاعدة عندهم ما صرح بها صاحب رد المحتار أن من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقده إيماناً ولا كفراً فلا عقاب عليه بخلاف ما إذا اعتقد كفراً ومات بعد المدة غير معتقد شيئاً كما مر في الباب الذي قبله . فليس عند هؤلاء مما عدا الموحدين ناج إلا قسم واحد ويوافقهم عليه عامة الأشاعرة كما عرفت . وإذا علمت ذلك فجميع آباء النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف الأقسام قسماً كما وردت به الأحاديث الصحيحة ويأتي في الباب الذي بعده فهم كما قيل فيهم^(١) :

قوم هم الناس أما غيرهم فكلًا وفرقة الحق تلغو دونها الفِرَقُ

خصوصاً والديه الشريفين فلا بدع أنهما من أشرف الحزب المفلحين ولهما الغرفات العلى بشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . كيف وقد ورد الحديث الصحيح في حقهما بالخصوص ولا عجب الجدير بأن يرسم بماء الحياة على صيحة من ذهب . وهو ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى عليه وسلم سئل عن أبيه فقال : « ما سألتها ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود »^(٢) أخرجه الحاكم وصححه وأقره الإمام السهيلي والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي في رسائله والإمام الشعراني في البواقيت والعلامة الزرقاني في شرح المواهب رحمهم الله تعالى . وفي إعراب الحديث

(١) كما قيل فيهم : قائل هذا البيت الفاضل الأديب المرحوم حسن أفندي بوسنوي المدني وهذا البيت من قصيدة أنشأها المذكور في آل المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى .

(٢) في البواقيت والجواهر ٥٧/٢ ، والسهيلي في روض الأنف .

نوع دقة وتوضيحه أن ما نافية ، وقوله : سألتها أصله سألت تلهما من باب الحذف والوصل والفاء من قوله فيعطيني فاء الفصيحة داخلة على قول مقدر والتقدير ما سألتها ربي في الدنيا وإذا أردت معرفة ما يكون في الآخرة فأقول يعطيني ربي فيهما فضلاً وإحساناً حال قيامي المقام المحمود . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يسأل الله والديه أي لم يتفق له ذلك ثقة بما وعده به ربه جل وعلا أنه يعطيه فيهما حال قيامه أشرف مقام في القيامة وهو المقام المحمود . ويحتمل أن ما شرطية أو موصولة فعلى الأول جملة فيعطيني إلى آخره جواب الشرط وعلى الثاني هي الخبر والفاء زائدة وعلى هذين الوجهين يكون قد وقع السؤال في الدنيا لكن تأخر الإنجاز في الآخرة لأنهما محط الفائدة وخص بذلك المقام لما فيه من مزيد الإجلال والإكرام . وقد مر تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى وهو المقام الأسمى . وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه هو جلوسه على الكرسي رواه العلامة الأمير في حاشيته على مولد الشيخ الدردير نفعا الله بهما قلت وعلى كل فهو المقام الذي يغبطه فيه الأولون والآخرين ولا مانع مما رواه العلامة الأمير إذا صح حيث كان بالإذن فإن للسلطان أن يأذن لأخص خواصه بالجلوس على ما يخصه .

والحال أنه فقير إلى ربه محتاج والله تعالى غني عن كل شيء والكل إليه يحتاج كما قال جلا وعلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ٦٦ فأي مانع من أن يأذن لحبيبه في ذلك فإنه لا حاكم عليه سبحانه لاسيما والمقام مقام تشريف وتكريم وإظهار لمزيته على سائر أولي التفخيم . وانظر صنع أهل المحشر حين يشتد عليهم الأمر ينعتقد رأيهم على الذهاب إلى آدم عليه السلام فيذهبون إليه فيحيل الأمر إلى نوح عليه السلام وهكذا وكلّ يعتذر من ذلك حتى ينتهي الأمر إلى نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول : أنا لها أنا لها . والحال أن في الناس الصحابة والمجتهدين وعلماء الأمم من أنه صاحب الشفاعة العظمى قطعاً ولكن الله تعالى صرف علم ذلك عنهم إظهاراً لشرف حبيبه صلى الله عليه وسلم على

رؤوس الأشهاد من الثقلين والملائكة وكن على ذكر^(١) من قصة الإسراء حيث
اخترق الحجب حتى صار إلى قاب قوسين أو أدنى وقد كان هذا في الحياة الدنيا
فبالأولى الدار الآخرة هي محل إظهار الفخر والشرف ومن ثم يقول بعض
الأنبياء لبعض بهذا فضلكم محمد ذكره في الحاشية المذكورة .

ولله درُّ القائل شعراً :

ولي رشاً من آل فهر بن مالك حوى شرفاً في العالمين وسؤددا
عروس لؤي صفوة لخلق كلهم وذاك ابن عبد الله أعني مُحَمَّدًا
ولبعضهم :

حبيب سرى للعرش يا لك رفعةً تقاصر إدريس لها ومسيحُ
وقال :

مشى وحده والحجب ترفع دونه وأملاكها تسعى له وتقومُ
وقد ذكر الجلال في مقامته السندسية معزياً للإمام حجة الإسلام الغزالي
نفعنا الله به ورضي عنه وأقره أن الله تعالى ملك حبيبه الجنة . أقول وما على من
اصطفاه سيده وأولاه وخصه بما شاء من ملكه وحباه أن يقال له :

ته دلاً فأنت أهل لذاك وتحكّم فالله قد ولّاك
قال شيخنا حين عرضنا عليه ما قررناه في الحديث وهذا الفهم متعين لكون
المتبادر أن مانافية وحيثي فلو جعل قوله فيعطيني فيهما بالنصب على حد
ما نأتينا فتحدثنا أو بالرفع على إضمار لا على حد ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذِرُونَ﴾^(٢)
لكان محصوره نفي السؤال والإعطاء وهذا لا يليق في نفسه ولا بالنظر إلى قوله

(١) قوله : على ذكر هو بضم الذال المعجمة أي التذكر وأما الذكر وأما الذكر بالكسر فهو الحفظ
للشيء . انتهى .

في آخر الحديث : « وأني لقائم يومئذ المقام المحمود » فتنبه وإذا تحقق جميع ما قررناه فليت شعري هل يقدر العقل قدر تلك العطية من كم أو كيف وتذكر ما مرّ عن أبي هريرة رضي الله عنه بسند جيد مرفوعاً : « سألت الله الشفاعة لأمتي فقال لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب قلت رب زدني فحثا لي بيده مرتين عن يمينه وعن شماله » . فتبصر في تلك الحثيات هل توازنهما السموات بمن فيها وما أظلت والأرض بمن عليها وما أقلت إلا أنه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رميد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وإنما بسطنا الكلام في هذا المقام لتعلم مزية أصليّه الكريمين على سائر الأمة ولا تغفل عما لهما من المزايا واستعد لما سنذكره من أنهما كانا موحدين كسائر أصوله الكرام وما سوف نتلوه عليك إن شاء الله تعالى من أحيائهما وإيمانهما به صلى الله عليه وسلم ولا غرابة في ذلك بعد إن كانا مشكاة مصباح سيد الأولين والآخرين وعنصر فخر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى والديه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحبه أجمعين . ونسأله تعالى أن يسكننا معهم جنات النعيم بلا سابقة عذاب بفضل العليم .

والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل راقياً رفيع الدرجات وأعلاها نائلاً من ربه أسمى العطايا وأسناها وغير خاف أن العطية على قدر المعطي والمعطى له ولو لم يكن في هذا المقام إلا الإنعام بمضمون : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ لكفى .

أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : من إرضاء محمد صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أهل بيته النار « رواه السيوطي في مسالك الحنفاء والزرقاني في شرح المواهب وفيهما من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه من تخريج أبي سعيد في شرف النبوة وغيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي أن لا يدخل النار

أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك » انتهى . فإنه كان حريصاً على جميع أهل بيته بل على جميع أمته أن لا يعذب أحد منهم كما ذكر في الجلالين عند تفسير هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذاً لا أرضى وواحدٌ من أمتي في النار » فلأن يكون حريصاً على إنقاذ أصوله أولى ومن سوء الفهم وإساءة الأدب أن يتوهم خلاف ذلك أمن المروءة أم من البر من إنسان مقرب عند ملك كريم عظيم له الصولة التامة والكلمة النافذة والمكانة العليا وهو القاسم لعطايا ذلك الملك أن يرضى أن تكون أصوله محرومة من تلك العطايا فكيف بمن انعقد عليه الإجماع أنه سيد كريم على ربه وأنه لا أكرم منه بعد الله عز وجل ولا شبهة في أن ربه عز وجل منجز له ما وعده إن الله لا يخلف الميعاد . قال الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي
وفي المصباح أوعده إيعاداً بالشر ووعدته وعداً بالخير والموعد مصدر أو ظرف زمان أو مكان والخلف في الوعد عند العرب كذب وفي الوعيد كرم . انتهى .

وقد أثنى الله تعالى على نبي الله إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ فأمعن النظر في ذلك وافهم . ويؤيد ما ذكر ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب » وما أورده الطبري وعزاه لأحمد في الناقب عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة باب الجنة ما بدأت إلا بكم » وما أخرجه الطبراني من حديث أم هانئ رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي » وأخرج الطبري نحوه وفيه : « أني لأشفع فأشفع حتى إن من

أشفع له ليشفع فيشفع حتى إن إبليس ليتناول طمعاً في الشفاعة » ومما يشرح ما نحن فيه ما أخرجه ابن أبي الدنيا قال حدثنا القاسم بن هاشم السمسار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي أبناء العشرين من أمتي فوهبهم لي » والكلُ مذكور في مسالك الحنفاء . أقول : أشار رحمه الله تعالى بقول ما نحن فيه إلى مزية أخرى للوالدين الكريمين بأنهما المقصودان من السؤال أولاً وبالذات . فقد مرّ أنهما لم يبلغا سن العشرين . كما صححه الحافظ صلاح الدين العلائي وأقره الحافظ السيوطي والشيخ الشعراني والعلامة الزرقاني رحمهم الله تعالى فكأنه ﷺ أراد أن يسألهما بالخصوص لحدائث سنهما بيد أنه لما كان عين الرحمة وقد عمت العالم بأسره والكل محتاج ومنتظر لها وهمته ﷺ لا تعادلها همة أحد من الخلق أبت نفسه الشريفة أن يقصر السؤال لاسيما المسؤول جواد مفضل فقد عمم في الطلب فشمّل كل من سنه كذلك ومن كان قبل البعثة وتعدّها على ما سبق ودخل في السؤال الإناث بدلالة النص لأنهن شقائق الذكور في مثل هذا وليس الذكور بأولى منهن بذلك . فانظر كيف عمت تلك المزية خلقاً لا يحصون بسبب الوالدين الشريفين . تدبر بقي حديث صريح في المقام وهو ما رواه تمام الرازي في فوائده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إذا كان يوم القيامة شفّع لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية » . أخرجه الحافظ السيوطي في مسالك الحنفاء معزياً للطبري . قال وهو من الحفاظ والفقهاء وقد ورد هذا الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاع لا من النسب كما أخرجه أبو نعيم وغيره فهذا الحديث وإن كان ضعيفاً لكنه يتقوى بكثرة طرقه كما أشار إليه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى بقوله : فهذه أحاديث يشد بعضها بعضاً فمراد الإمام السيوطي رحمه الله تعالى أن هذا الحديث وأمثاله ارتقى إلى مرتبة الحسن كما تقرر في علم الحديث ويسمى الحسن لغيره . وتعريفه كما قال شيخنا في حاشية علم المصطلح بأنه الذي لم

تجتمع فيه شروط الصحة ولا شروط لحسن لذاته ولكن قد وجد له شاهد أو لروايته متابع مماثل له أو أعلى . انتهى .

وقد تقدم أول الكتاب تعريف الصحيح . ولا فرق بينه وبين الحسن لذاته إلا بتمام الضبط ونقصه . قال شيخنا في الحاشية : وفيها أنه لا يشترط في المتابع والشاهد أن يكونا من الثقات كما قال ابن الصلاح بل قد يكون كل من التابع والمتابع لاعتماد عليه ولكن باجتماعهما تحصل القوة كما قال السخاوي . والفرق بين المتابع والشاهد أن أحد الراويين إذا شارك الآخر في حديث فإن اتحد الصحابي فهي المتابعة وإن اختلفا فشاهد فكل ما جاء عن هذا الصحابي مؤيداً فمن باب المتابعة وكل ما جاء عن صحابي آخر مؤيداً فمن باب الشهادة وهذا هو معتمد الحافظ ابن حجر وقد بنى شيخنا النظم عليه فقال :

ومن يشارك في حديث سامعاً من شيخ أو أعلى يكن متابعاً
إذا روى عن ذا الصحابي ومتى تغايرا فشاهدان ثبتا

فقد ظهر وجه ارتقاء الحديث إلى مرتبة الحسن على أنه ليس من قسم الضعيف الشديد الضعف بل جميع ما أوردناه في هذا الكتاب عن الإمام السيوطي من الأحاديث ليست خارجة عن مرتبة الصحيح والحسن كما أشار إلى ذلك في المقامه السندسية حيث قال : ولو كنا نحب إيراد الواهيات لأوردنا حديث : « أوحى إلي أني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك » لكني لا أحتج بحديث وإه فإن الدلالة القوية غني عما فيه نتكلم وإذا حضر الماء بطل التيمم . انتهى .

قوله إني حرمت النار . الحديث . هذا الحديث شدة ضعفه إنما هي من جهة اللفظ والسند فقط . لا من جهة المعنى فإنه قوي صحيح جداً لم يقل إمام بضعفه . وفي الحديث إيماء إلى مزية أخرى للوالدين الكريمين ترشح ما سبق ومزية للأخ رضاعاً حصلت ببركته ﷺ . وأما أبو طالب فذهب الطبري

رحمه الله تعالى إلى أن الحديث مأول في حقه بالتخفيف كما في مسالك لحنفاء وفيه أنه ثبت التخفيف أيضاً عن أبي لهب فقد نقل الزركشي في الخادم عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي ﷺ وأعتاقه ثوبية حين بشرته به قال : وإنما هي كرامة له ﷺ . وفي شرح المواهب روى البخاري وعبد الرزاق والإسماعيلي عن قتادة أن ثوبية مولاة أبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشرخيه^(١) والرائي له كما ذكره السهيلي أخوه العباس رضي الله عنه فقال له ماذا لقيت فقال لم ألق بعدكم راحة غير أنني سقيت في هذه وأشار برأس أصبعه وأشار إلى أن ذلك بإعتاقي لثوبية حين بشرتني بولادة النبي ﷺ وبارضاعها له . قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى فإذا كان هذا الكافر نزل القرآن بذمه جوزي بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ فما حال الموحد من أمته يسر بمولده ويبدل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم . انتهى وعليه فقد قيل :

إذا كان هذا كافر جاء ذمه وتبت يده في الجحيم مخلداً
وقد صح في هذا بالاثنتين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذي طول عمره بأحمد مسرور ومات موحداً

وأنا أقول : فإذا كان هذا الكافر المجمع على كفره وأذيته للنبي ﷺ خفف عنه العذاب فما بالك بمن اختلف في كفره مع الاتفاق على أنه كان شديداً في حبه وحمايته له ﷺ كما سيأتي . . تأمل .

ثم إنما يتمشى تأويل الطبري على القول بجواز حمل المطلق كحديث تمام على المقيد كحديث البخاري الوارد في التخفيف عن أبي طالب وهو خلاف

(١) قوله : بشرخيه الخيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة سوء الحال . انتهى .

ما اختاره المحققون من الأصوليين من أن المطلق يبقى على إطلاقه والمقيد على تقييده فالشفاعة حينئذ يعلمها الله ورسوله . ويحتمل أن تكون للإخراج من النار على قول من قال إنه مات مسلماً . فقد ذكر السهيلي كما في شرح المواهب أنه رأى في بعض كتب المسعودي أن أبا طالب أسم عند الموت . وروى ابن إسحاق أن أبا طالب أسلم عند الموت ونقلها عنه الحافظ ابن سيد الناس في العيون . ورواية ابن إسحاق كما في شرح المواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ على إيمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قريش أني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها . فقال رسول الله ﷺ لم أسمع . وذهب الجمهور إلى أنه مات كافراً كما في اليبضاوي وحواشيه كالشهاب وسنان أفندي وأطلقوا القول بذلك غير أن الحافظ ابن حجر ذكر أن الاختصار في الطلب على لا إله إلا الله محتمل لأن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن كان لا يقر بتوحيد الله فإذا أقر لم يتوقف على الشهادة له بالرسالة واستدل ببعض أبيات النونية :

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وذكر العلامة القرافي في شرح التنقيح أن أبا طالب من القسم الذي آمن بظاهره وباطنه إلا أنه كفر بعدم الإذعان للفروع لما حكى عنه أنه كان يقول إني لأعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق ولولا أني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره يقول :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب يقينا ولا يعزى لقول الأباطل

قال القرافي فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يدعن يعني

للفروع كما مر ويشهد لما قاله الحافظ ابن حجر والعلامة القرافي رحمهما الله جمل كثيرة ذكرها العلامة الزرقاني نقلاً عن الثقات من أقوال أبي طالب . فمنها ما أخرجه ابن عساكر عن جلهمه^(١) بن عرفة قال ما ملخصه قدمت مكة وقريش في قحط مختلفين فيمن يذهبون إليه فاتفق رأيهم في الذهاب إلى أبي طالب فوصلوا إليه وسألوه الاستسقاء فخرج أبو طالب ومعه غلام هو النبي ﷺ فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة وأشار الغلام بأصبعه وما في السماء قطعة من السحاب فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي . انتهى . فانظر إلى أبي طالب لم يلتجئ إلا إلى الله ولم يتوسل إلا بالنبي ﷺ عند بيته المعظم . ومنه ما قاله لقريش حين أجمعت على أذى النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الإسلام بذكرهم نعمة النبي ﷺ عليهم .

وأبيض يستقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وهذه القصيدة اللامية هي لأبي طالب على الصواب . فقد أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه ، قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبي يغط^(٢) ولا بعير ينط وأنشد أبياتاً فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت

(١) قوله : جلهمه : هو بضم الجيم وتفتح وعرفته بضم العين والفاء بعدهما طاء مهملة . انتهى .

(٢) قوله وما لنا صبي يغط ولا بعير ينط في المصباح : غط الجمل يغط من باب ضرب غطيظا صوت في شقشة فإن لم يكن في شقشة فهو هدير وأما الناقة فإنها تهدر ولا تغط وغط النائم بغط غطيظاً تردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وفي القاموس أط الرجل ينط أطيظا صوت والإبل أنت تمبا أو حنيئاً وفيه الشقشة بكسر الشينين المعجمتين بينهما قاف ساكنة بعدهما قاف ساكنة بعدهما قاف مفتوحة هي شيء كالراق يخرج البعير من فمه إذا هاج . انتهى .



السماء بأبراقها وجاؤوا يضحجون الغرق فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه .
ثم قال الله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي
كرم الله وجهه يارسول الله كأنك تريد قوله : وأبيض يستقى الغمام بوجهه .
وذكر أبياتاً فقال صلى الله عليه وسلم أجل « فهذا نصيح صريح في أن أبا طالب
هو المنشئ لهذه القصيدة كما نبه عليه الزرقاني معزياً لشرح الهمزية وهذه
القصيدة ربما تزيد على المائة حتى قيل لا يدري متنهاها ولنذكر جملة منها
تشهد لما نحن فيه قال :

أعبد مناف أنتم خير قومكم	فلا تشركوا في أمركم كل واغل
وقد خفت إن لم يصلح الله أمركم	تكونوا كما كانت أحاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن	علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى علينا بعبية	ومن ملحد في الدين ما لم يحاول
وبالبيت حق البيت في بطن بكة	وبالله أن الله ليس بغافل
كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً	ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونغفل عن أبائنا والحلائل

إلى أن قال :

لعمري لقدكلفت جداً بأحمد	وأحبيته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل	إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش	يوالي إلهها ليس عنه بغافل
فو الله لولا أن أجيء بسبة	تجر على أشياء خنا في المحافل
لكننا اتبعناه على كل حالة	من الدهر جداً غير قول التهازل

وقوله : على كل حالة هذا مؤيد لما نقلناه عن القرافي رحمه الله تعالى من
إيمانه ظاهراً وباطناً غير أنه لم يذعن للفروع لأنه لم يعمل بها ولم يجهر بكلمة
التوحيد . يدلك عليه قوله لو لا أن أجيء بسبة ، فتبين بهذا أنه لم يكن متبعاً في

كل حالة . وقال لمحقق مولانا الأستاذ نفعنا الله به في حديث البخاري عند قوله صلى الله عليه وسلم : « قل كلمة » الحديث ، فيه إشارة إلى أن الإيمان متمكن من قلب أبي طالب وإنما أراد منه صلى الله عليه وسلم الإعلان به ويدل عليه لفظ قل .

أقول : ويساعده أقواله وأفعاله الجميلة . وقد ورد في الأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره أنه لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان بل أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان تأمل . ولعل الحكمة في عدم جهره بذلك هي رده للمشركين والذب عن النبي ﷺ وأما الإيمان فمتمكن في قلبه . ويرشحه ما قاله لأشراف قريش حين حضرته الوفاة يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وأوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب وبصلة الرحم وبترك البغي والعقوق وذكر أشياء كثيرة من هذا القبيل إلى أن قال : وإني أوصيتكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن^(١) . إلى أن قال : يا معشر قريش كونوا له ولاةً ولحزبه حماةً والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد . وما قاله لقريش أيضاً حين نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فجهر النبي ﷺ بعد أن كان مستخفياً حتى عاب آلهم فاجمعوا على عداوته فاشتد الأمر إلى أن أهرق الدم فاجتمعت قريش عند أبي طالب فأتوه بعمارة بن الوليد ليتخذها ولداً ويعطيهم النبي ﷺ ليقتلوه . فقال أبو طالب هذا والله لا يكون أبداً وقال شعراً في النبي ﷺ تطميناً له :

والله لن يصلوا إليكم بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

(١) قوله مخافة الشنآن . الشنآن : كسحاب ومعناه البغض . انتهى .

وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتني سمحاً بذلك مينا
والحاصل أن أبا طالب كان حبه للنبي ﷺ فطرياً غريزياً حتى كان يفديه
بأولاده وبنفسه . فقد روى أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال
كان أبو طالب يحب النبي ﷺ حباً شديداً لا يحب أولاده كذلك . ولذا لا ينাম
إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج . وذكر ابن إسحاق أن أبا طالب كان عضداً
وناصراً للنبي ﷺ على قومه . فلما مات نالت قريش منه الأذى ما لم تطمع به
في حياته حتى قال : « ما أنالني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » كما
نص عليه في الفتح . وكان عليه الصلاة والسلام يسمى العام الذي مات فيه عمه
أبو طالب عام الحزن ، كما في التقريب . ومما يرشح ذلك أنه لما اجتمعت
قريش على قتل النبي ﷺ بسبب إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه حازه أبو طالب
في الشعب مع بني هاشم وكان في تلك لمدة يأمر النبي ﷺ أن ينام على فراشه
كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً فإذا نام الناس أمر أحد بني بالاضطجاع على
فراش المصطفى ﷺ وأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها وفي هذا القدر
كفاية .

تنبيهان :

الأول : قد دلت أحاديث الامتحان التي ذكرناها أول الباب على أنه يقع
التكليف يوم القيامة في الجملة وعلى أن الطاعة هناك نافعة كما أن المعصية
ضارة ثم رأيت منصوصاً عليه في اليواقيت والجواهر لعلامة زمانه في العلم
الظاهر والباطن سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعا الله تعالى به وعزاه لبعض
المحققين من أن يوم القيامة برزخي له وجه إلى الدنيا ووجه إلى الآخرة .

وذكر أن أهل الأعراف يسجدون يوم القيامة فيرجح ميزانهم بتلك السجدة

ثم يدخلون الجنة فلولاً أن هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة . انتهى .

ورأيت على هامش البيضاوي معزياً لمعالم التنزيل اختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف فقال حذيفة وابن عباس رضي الله عنهم هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك حتى يقضى الله تعالى فيهم بما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة تأمل والله ولي التوفيق .

الثاني : لا ينبغي أن يختلج في وهم متوهم أن الدليل على عدم إذعان أبي طالب هو قوله آخرأ على ملة عبد المطلب بعد أن قال له صلى الله عليه وسلم : « قل كلمة أحاج لك بها عند الله » كما في صحيح البخاري رحمه الله تعالى . بل الأمر كما قال سنان أفندي محسني البيضاوي عند قوله بأن ماتوا على الكفر في تفسير قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية ونص عبارته ثم إن موتهم على الكفر إنما تبين بالاستصحاب فإنهم لما اتصفوا بالكفر ولم يصدر منهم ما يدل على إيمانهم إلى حين موتهم عرفنا بحكم الاستصحاب أنهم ماتوا على الكفر . انتهى .

فالدليل حينئذ على عدم إذعانه هو عدم إجابته بما أمر به وهو لا إله إلا الله فتنبه وإنما لم يكتف بقوله على ملة عبد المطلب لآبائه طاهراً في آخر حياته عما طلب منه ولأن هذا بعد نسخ جميع الشرائع بالشرعة المحمدية فليس في الحديث ما يدل على أن عبد المطلب كان مشركاً كما أفاده الزرقاني ولا فيما رواه البزار والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوماً من الأنصار عن ميتهم : « لعلك بلغت معهم الكداء^(١) قلت : لا قال لو كنت بلغت معهم الكداء ما رأيت الجنة

(١) قوله الكداء : الكداء بالمد وفتح الكاف هو اسم للثنية العليا بأعلى مكة ممنوع من السرف =

حتى يراها جد أبيك لأن الجد لا يتعين في عبدالمطلب ولا في جد النبي . كما لا يخفى . ولأن هذا الحديث رواه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك كما في شرح المواهب وعلى فرض ثبوته فقد ذكر مولانا الجد المرحوم العلامة محمد أفندي بالي في مجموعته معزياً الحاشية على النسائي للحافظ السيوطي نور الله مرقدهما أن غاية ما يدل عليه الحديث المذكور أنه لو بلغت معهم الكداء لم ترَ الجنة مع السابقين لأجل الكبيرة وهي ذهابها مع الجنائز إلى المقابر . ثم يؤول أمرها إلى دخول الجنة قطعاً ويكون عبد المطلب كذلك لا يرى الجنة مع السابقين بل يتقدم ذلك الامتحان ويكون معنى الحديث لم ترَ الجنة حتى يجيء الوقت الذي يراها فيه عبد المطلب فترينها حينئذ فتكون رؤيتك لها متأخرة عن روية غيرك من السابقين هذا مدلول الحديث على قواعد أهل السنة لا معنى له غير ذلك على قواعدهم . انتهى .

أقول معنى قوله على قواعد أهل السنة أن الكبيرة عندهم لا توجب الخلود في النار خلافاً للمعتزلة . وقوله بل يتقدم ذلك الامتحان فيه نظر لما نص عليه هو بنفسه في رسائله وعليه جم عظيم من أئمة الدين أن آباء النبي ﷺ كلهم كانوا موحدين . وأيضاً قد ذكرنا في هذا الباب معزياً لمسالك الحنفاء أن جماعة تحنفوا في الجاهلية بالملة الحنيفية ومنهم عبد المطلب فلا داعي للامتحان حينئذ . ولو فرض ذلك فمن الظن أن عبد المطلب يدخل الجنة مع السابقين كرامةً للنبي ﷺ . وما يدل على إسلام عبد المطلب خصوصاً وعموماً ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « بعثت من خير

= بألف التانيث الممدودة وتسمى تلك الناحية أيضاً المعلا ولعل تلك الحادثة كانت بمكة المشرفة بخلاف الكدجاء بضم لكاف مقصوراً اسم موضع بأسفل مكة . انتهى .

قرون بني آدم^(١) قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه . وما رواه مسلم واصطفي من قريش بني هاشم ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء لا يكونان مع الشرك وفي التنزيل : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾ وقال صاحب الإصابة ذكر ابن السكيت أن عبد المطلب من الصحابة كبهيري الراهب وأمثاله ممن مات قبل البعثة لما جاء عنه أن النبي ﷺ سيبعث . انتهى . قلت : أفعل التفضيل في الآية الكريمة على غير بابيه فالمراد أصل الفعل لأن المشرك لا خير فيه أصلاً كيف وقد جعلوا نجساً قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ والنجس لا يكون مصطفى ولا خيراً . وفي شرح المواهب ومما يؤيد القول بإسلام عبد المطلب أن النبي ﷺ انتسب إليه يوم حنين فقال : « أنا ابن عبد المطلب » وهذا من جملة ما استدلل به العلماء على إيمانه . قال في مسلك الحنفاء وهذا من أقوى ما تقوى به مقالة الفخر ومن وافقه لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار . روى البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رجلين انتسبا على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما أنا فلان بن فلان أنا فلان بن فلان وقال الآخر أنا فلان بن فلان فقال رسول الله ﷺ انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما أنا فلان بن فلان إلى تسعة وقال الآخر أنا فلان بن فلان ابن الإسلام فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل لهذين المنتسبين أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء^(٢) في النار فأنت عاشرهم في النار . وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة .

(١) قوله من خير قرون بني آدم . . إلخ : القرن لغة يطلق على الزمان وعلى أهل زمان واحد وعلى أمة بعد أمة وعليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم ، الحديث . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم بعث من خير طوائف بني آدم طائفة فطابقه حتى بعث من الطائفة التي كان فيها . انتهى .

(٢) قوله إلى تسعة آباء من المعلوم أن العدد لا مفهوم له فالمراد الانتساب إلى الكافر . انتهى .

وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريحانة عن النبي ﷺ قال ومن انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً أو شرفاً فهو عاشرهم في النار .

وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يحدث الجمل^(١) بأنفه خير من أبائكم الذين ماتوا في الجاهلية وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة نحوه .

وفي حديث مسلم أنه نهى ﷺ عن الفخر بالأحساب وأنه من أمر الجاهلية . انتهى .

قلت : فقد اتضح أن عبد المطلب كان موحداً قطعاً وإلا لم ينتسب إليه ﷺ خصوصاً في ذلك الموضع والحمد لله .

فإن قلت : حديث مسلم يفيد النهي عن الفخر بالأحساب مطلقاً سواء كان الآباء كفاراً أو مسلمين فالجواب عن حديث أنا ابن عبد المطلب وأمثاله . قلت نعم الحديث صريح في النهي عن الفخر بالأحساب . ولكن لم يرد به ﷺ كما صرح به السيوطي معزياً للحليمي وكذا يقال في كل أحاديث الانتساب كحديث أنا خيركم نفساً وخيركم أباً وإنما أراد ﷺ بذلك تعريف منازل آبائه الكرام كرجل يقول كان أبي عالماً لا يريد بذاك الفخر وإنما يريد تعريف حاله . ويحتمل أنه ﷺ أراد التحدث بنعمة الله تعالى عليه . وعلى كل فليس ذلك من الفخر في شيء .

ومما يدل على توحيد عبد المطلب قصة حفر زمزم وهي مبسطة في كتب السير وخلاصتها كما في المواهب وشرحها أن عبد المطلب لما أراد حفر زمزم

(١) قوله الجمل هو كسر د بضم الجيم وفتح العين المهملة اسم لدوية وهو المشهور بين الناس بأبي جمران . انتهى .

لم يكن له من الذكور إلا الحارث فنذر إن رزقه الله عشرة من الذكور ليزبحن واحداً منهم عند الكعبة ثم احتفر زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحارث فقط ثم أعطاه الله تعالى ذلك المطلوب فرأى في المنام قائلاً يقول له أوف بنذكرك فضرب القداح^(١) فجاءت على عبد الله فامتل عبد الله لأمر الله طائعا فلما أسلما وتله للجبين ضجت أخوته وسائر قريش ولم يلتفت إليهم من أول الأمر عبد المطلب فعظم الاضطراب حتى استقر الأمر على أن تضرب القداح على عشرة من الإبل وعلى عبد الله ففعل فظهرت القرعة على عبد الله فزادوا عشرة ولم يزالوا كذلك حتى بلغت الإبل مائة فظهرت القداح عليها فنحرت عند الكعبة .

روى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الدية عشراً من الإبل وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل . فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل وأقرها رسول الله ﷺ كذا في مسالك الحنفاء . وقال صاحب الملل والنحل مما يدل على إثبات عبد المطلب المعاد والمبدأ أنه حين ضرب القداح على ابنه عبد الله كان يقول يارب أنت المالك المحمود وأنت ربي الملك المعيد من عندك الطارف والتليد . ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم الجذب أمر أبا طالب أن يحضر بالنبي ﷺ وهو صغير ففعل فاستسقى به ﷺ . وفي طبقات ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع علمان قريباً من السدرة وأن أهل الكتاب يقولون إن ابني نبي هذه الأمة كذا في شرح المواهب . وحيث ثبت أنه رضي الله عنه مؤمن بلا شبهة لم يكن أن يحمل ابنه عبد الله على عبادة الأوثان وإنما يحمله على اعتقاده وهو التوحيد لقوله ﷺ : « كل مولود

(١) قوله القداح جمع قدح بكسر القاف وسكون الدال المهملة وبالحاء المهملة السهم قبل أن يراش وينصل . انتهى .

يولد على الفطرة فأبواه... الحديث » . وقد خوطب ﷺ بابن الذبيحين فتبسم ﷺ ولم ينكر على من قال .

روى الحاكم أن أعرابياً قال للنبي ﷺ يا ابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين عبد الله وإسماعيل ذكره العلامة نجم الدين الغيطي في المولد الشريف وفي الملل والنحل أن النبي ﷺ قال : « أنا ابن الذبيحين » وأراد إسماعيل وعبد الله . انتهى . لعمر الله لقد تسنم الوالد الكريم ذروة المجد الأثيل حيث كان عديلاً للنبي إسماعيل فقد دل الحديث على إيمان عبد الله إذ لو لم يكن كذلك لما قرن اسمه باسم إسماعيل عليه السلام لأنه ليس من الكمال المطلق مؤمن أن يمزج اسمه مع اسم كافر في كلمة واحدة فمن باب أولى خواص الخلق .

* * *

الباب الخامس

في بيان أن أصول النبي ﷺ كلهم كانوا على التوحيد

قد سلك جمع عظيم من أئمة الدين أن جميع آباء النبي ﷺ وأمهاته كانوا موحدين ولهم على ذلك أدلة شريفة من الكتاب والسنة والآثار وأحاديث منيفة عن أولئك الأصول السادة الأخيار ولنظمها في سلك عقود خمسة :

الأول : فيما ورد من الأدلة العامة القاضية على جميعهم من لدن أبينا آدم إلى عبد الله بالتوحيد .

الثاني : في الأدلة الخاصة الحاكمة لمن بين آدم ونوح عليهما السلام بالتوحيد .

الثالث : في خصوص من بين نوح وإبراهيم عليهما السلام .

الرابع : في خصوص من بين إبراهيم ونبينا عليهما السلام .

الخامس : فيما نقله السلف من أخبار الأصول الكرام .

العقد الأول :

قال الله تعالى في عزيز كتابه مخاطباً لسيد الخواص من أحبابه ﴿ وَتَقَبَّلْكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ . ذكر له الحبر ابن عباس رضي الله عنهما معنيين : أحدهما تقبلتك مع أهل الصلاة في الركوع والسجود والقيام . والآخر : تقبلتك في أصلاب آبائك المؤمنين الكرام وكلامنا فيه .

قال الإمام الفخر الرازي في تفسير شكر الله سعيه معناه أن ﷺ كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد فالآية دالة على أن جميع آباء النبي ﷺ كانوا مسلمين . أما الوالدان فقد كانا على ملة إبراهيم كزید بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل . قال وقد استوفيت أحوال أجداد سيد بني قصي فوجدتهم مؤمنين بيقين وأيده بقوله عليه الصلاة والسلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ لوجب أن لا يكون أحد من أصوله ﷺ مشركاً انتهى عليه علماء الأمة كالعلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء . ونقله العلامة الزرقاني في شرح المواهب وأقره وارتضاه الحافظ السيوطي في المقامة السندسية وفي المسالك فقال وناهيك به أمانة وجلالة فإنه العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها . وفيه قال الإمام أبو الحسن المارودي في أعلام النبوة لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرته من خلقه . لما كلفهم من القيام بحقه والإرشاد للعباد ستخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأواصر^(١) فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون القلوب لهم أصغى والنفوس لهم أوطى وأن الله استخلص رسوله من أطيب المناكح وحماء من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام متزهة . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قول الله تعالى : ﴿ وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾ أي تقبلتك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه الكرام ثم لم يشركه في أبويه أخ ولا أخت لكونه بنسب جعله الله للنبوة غاية ولنفرده نهاية وإذا عرفت طهارة مولده علمت أنه من سلالة آباء كرام ليس في آبائه مسترذل ولا مغموز مستبدل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب

(١) وقوله الأواصر بفتح الهمزة بعدها وثم صاد مهملة مكسورة بعدها راء مهملة على زنة عناصر جمع أصرة بفتح همزة وكسر صاد وفتح راء مهملتين وآخره الرحم والقرابة . انتهى .

وطهارة المولود من شروط النبوة . وقال أبو جعفر النحاس في معاني القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ . روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نقله في الظهور حتى أخرجه نبياً انتهى . فإن قلت : معنى الآية تردك في تصفح أحوال المجتهدين في العبادة مرة بعد أخرى كما قال البيضاوي وغيره . فقد روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من ذنذنتهم بذكر الله تعالى . قلت : قد أجاب عنه الفخر الرازي بقوله وأقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى : ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ على وجه وإذا وردت الرويات بكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الجميع انتهى . وأقره الحافظ السيوطي في المسالك وهو في غاية الحسن والوضوح فلا وجه لاستدراك صاحب المواهب على هذا الإمام بما ذكره القاضي البيضاوي . ولذا قال الزرقاني في الشرح وهذا التعقب كبيت العنكبوت إذ ليس في كلام البيضاوي نفي لغير ما ذكره من التفسير ولا حكاية إجماع عليه . بل قال بعد ما ذكر من التفسير المذكور تفسيراً آخر أن المراد بهم المصلون . والرازي أيضاً لم ينف التفسير الذي ذكره البيضاوي بل قال أقصى ما في الباب حمل الآية على وجوه فتعقب صاحب المواهب بأحد تفاسير اعترف بها هذا الإمام وأشار إلى الجمع بينها مما لا يليق تسطيره على أن ما فسر به الرازي هو الأولى بالقبول . فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ قال من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً . ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء . قلت : وهذا لا يليق بالفخر إلا مع حسن الوسائط ويساعده ما في الفوائد أن حمل الآية على أعم منها وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية إبراهيم عليه السلام أوضح لأنه ليس في أجداده صلى الله عليه وسلم أنبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وأدريس في قول . انتهى . فإن قلت :

حمل الآية على جميع معانيها حقيقة ممنوع عند الحنفية لأن استعمال المشترك اللفظي في كل معانيه دفعة غير جائز عندهم كما في كتب الأصول . قلت : نعم . ولكن في الهداية جواز في النفي والذي حرره مولانا الأستاذ نفعنا الله به إنه جائز مطلقاً إذ لا دليل على منعه ولا وجه لحصر الكلام القديم في معنى واحد وهو مما لا يعقل فهذا هو الصواب الذي يجب اعتقاده وعليه بقية المذهب فما حرره الفخر هو الأولى بالقبول وبما ذكرناه تبين اضمحلال ما ذكره أبو حيان من حصره القول بتوحيد الآباء في الرافضة وإنهم هم المستدلون بالآية الكريمة وتبعه فيه أبو المنتهى في شرحه الفقه الأكبر كما مر وهؤلاء الأئمة من أكابر أهل السنة قد استدلوا بها واستدل بها أيضاً العلامة الطحطاوي في حاشية الدر المختار ناقلاً عن العلامة ابن حجر المكي فقال المراد بالساجدين ما يعم الساجدات والمعنى انتقالك من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . وممن استدل بها أيضاً العلامة الأمير في حاشيته على مولد الدردير فقال : وبالآباء الكرام فسر قوله تعالى : ﴿ وَتَقَبَّلْكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ في بعض الآثار من نبي إلى نبي حتى أخرجتك مصفى مهذباً فلم يكن في آباءه ولا أجداده ولا أمهاته ولا جداته شرك قط بل هم كرام موحدون . انتهى . ولكن إنما يتم بكلامنا السابق وقد شنع العلامة ابن حجر على أبي حيان ومن نقل عنه كما في شرح المواهب حيث قال : ناقل هذا الكلام عن أبي حيان لو كان له أدنى مسكة من علم أو فهم لتعقب قوله بأن هذا الحصر باطل عنك أيها النحوي البعيد عن مدارك الأصول والفروع فليتك أيها الناقل سكت عن ذلك ووفيت عرضك وعرضه عن رشق سهام الصواب . انتهى . وما أرشق قول الحافظ الدمشقي وأعذبه في استدلاله بالآية الكريمة حيث قال شعراً :

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلاً في جباه الساجدين

تقلب فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلين

هذا ما تيسر للضعيف من الكلام على الآية الكريمة بالنصوص والآثار
ويرشحه ويقويه ما يتلوه من الأحاديث الصحيحة والأخبار .

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من
القرن الذي كنت فيه » وفسر العلامة الأمير في حاشيته القرن بالطائفة وفسره
مولانا الأستاذ نفعنا الله به بالجيل عند قوله ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم... الحديث » وهما متحدان معنى وإن اختلفا في
اللفظ .

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
« ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله من خيرهما فاخرجت من بين أبوي فلم
يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن
آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً » .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى
الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :
« إن الله خلق الخلق فاختر من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار
من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني
من بني هاشم فأنا من خيار إلى خيار » .

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين
خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلةً وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم
ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قسم الحلق قسمين : فجعلني من خيرهما قسماً ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني من خيرها بيتاً » .

وأخرج مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » .

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من طريق واثلة بن الأسقع بلفظ : « إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزاراً ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب » .

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » .

قال الحافظ بن حجر نفعتنا الله به في أماليه لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن .

ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله تعالى والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك . انتهى . والكل من مسالك الحنفاء . وقد صرح الحافظ فيه إنه تتبع واستقرأ الأمهات الكريمات بل أمهات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فوجدن مؤمنات .

العقد الثاني :

في الأدلة الخاصة بالقضية بالتوحيد لمن بين آدم ونوح عليهما السلام .

أخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم والحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين وهو كذلك عند ابن مسعود رضي الله عنه في الآية الكريمة .

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال على الإسلام كلهم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال ذكر لنا أنه كان بن آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله إلى الأرض .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام .

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعد الثوري قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام رواه الحافظ في المسالك . وقال في المقامة السندسية معزياً للرازي أنه لم يكن بين آدم ونوح نسمة جاحدة بالاستقراء .
وأخرج العلامة الأمير في حاشيته أن شيث ومعناه هبة الله وكان وصي أبيه آدم عليهما السلام قام خطيباً في أولاده ولم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً وأوصى ولده أنوش ومعناه الصادق أن لا يضع هذا النور الذي كان يلمع في وجه أبيه وجده كالشمس إلا في الطيبين الطاهرين الكرام الموحدين

وكان ينتقل من جبهة كل كبير آخر عمره إلى أكبر أولاده فيتوارثون الوصية المذكورة كما يتوارثون النور .

العقد الثالث :

في الأدلة على التوحيد المختصة بمن بين نوح وإبراهيم عليهما السلام قال الله تعالى في كتابه العزيز حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ . قال الحافظ السيوطي إن سام من أولاد نوح مؤمن بالنص والإجماع لأنه كان مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن وفي التنزيل : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَاقِينَ ﴾ ﴿٧﴾ بل ورد في أثر أنه كان نبياً . أخرجه ابن سعد في الطبقات والزيير ابن بكار في الموفقيات . وابن عساكر في تاريخه عن الكلبي وولد سام ارفخشد صرح بإيمانه عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده ومن ارفخشد إلى تارخ ورد التصريح بإيمانهم .

قلت : ينبغي أن تكون الغاية داخلية في المغيا لما سيأتي قريباً فيكون تارخ من جملة من صرح بإيمانهم .

فقد اخرج ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نوحاً عليه السلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية فبنى كل رجلٍ منهم بيتاً فسميت سوق الثمانين وقد غرق بنوا قابيل كلهم وما بين نوح إلى آدم كانوا على الإسلام فلما كثروا ضاقت بهم سوق الثمانين فتحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا فيها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام ثم لم يزلوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا .

قال الحافظ فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي ﷺ من عهد آدم

إلى زمن نمرود كانوا مؤمنين بيقين وفي زمانه كان إبراهيم عليه السلام .
انتهى .

وأقول فعلم من هذا أن من بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من الأصول
الكرام مؤمنون بيقين وبقي الكلام على آزر فإن كان هو الأب حقيقة كما ذهب
إليه بعض العلماء يستثنى من سلسلة النسب الطاهر والراجح أنه كان عمه . كما
قال آخرون وأطلق عليه لفظ الأب مجازاً وهو شائع لغة وشرعاً فلا استثناء وهذا
هو الصواب وعليه المعول واعتمده المحققون منهم الإمام الفخر والإمام
الماوردي والحافظ السيوطي والشهاب الهيثمي وارتضاه العلامة الزرقاني
وغيره . وكفى بهم حجة . وإن شئت الاستقصاء فراجع وفتش وعلى صحة
ذلك شواهد من القرآن المجيد والحديث الشريف وأقوال السلف وأهل اللغة
كما سيتضح ذلك إن شاء الله تعالى . ولذا ذكر في شرح المواهب أن الدليل هو
أن آزر عم إبراهيم عليه السلام لا أبوه ظاهر كالشمس فقد صرح الشهاب
الهيثمي بأن أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة وإنما كان
عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر . بل صريح القرآن يساعده . قال
تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ مع أنه عم يعقوب لا أبوه بل لو لم
يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعاً بين الأحاديث قال وأما من أخذ
بظاهره كالبيضاوي فقد استروح وتساهل . انتهى .

وقال في الدرج المنيفة الأرجح أن آزر عم إبراهيم عليه السلام كما قال
الرازي لا أبوه . وقد سبقه إلى ذلك جماعة من السلف .

فروينا بالأسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا ليس آزر
أبا إبراهيم عليه السلام إنما هو إبراهيم ابن تارخ وقد وقفت على تاريخ لابن
المنذر صرح فيه بأنه عمه . قال الزرقاني رحمه الله تعالى ونفعنا به وبه تعلم
ما تحامل به بعض المتأخرين جداً فخطأ من قال إنه عمه وزعم أنه قول الرافضة

فتخطتته هي الخطأ وحصره القول به في الشيعة هو صنو قول أبي حيان وقد مر رده .

وأما زعمه اتفاق المفسرين على أن والد إبراهيم كان كافراً فباطل كيف وقد قال أولئك السلف أنه عمه وجزم به الرازي واعتمده حافظ السنة في عصره وأيده بما لا محيص عنه إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . انتهى .

قلت : هذا مع ما سبق للشهاب من الرد على أبي حيان أغناني عن الكلام هنا مع أبي المنتهي شارح الفقه الأكبر فإن عبارته وإن لم تكن صريحة في ذلك لكنها تجر بذيلها الشنيع على سائر الأصول وما كفاه ذلك حتى تزداد نغمة أخرى حيث جعل ما نسب من العبارة في الفقه الأكبر للإمام ترساً لمقاتلته الشيعة فلا حول ولا قوة إلا بالله . قال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ومعاذ الله أن ذلك الإمام الكبير يقول بذلك كيف وقد صفه عليه السلام بالخيرية في مضمون قوله : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . . الحديث » فهلا صمت هذا الشيخ أو نظر إلى سبيل النجاة واتبع هدى المسالك فسلم من السقوط في المهالك .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجانبه إلى ما تستطيع
شعر آخر :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر

ونزידك وضوحاً لكون آزر عم إبراهيم عليه السلام لا أبوه بما أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ قال آزر ليس بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ أو تارخ . وبما أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي رحمه الله تعالى أنه قيل له اسم أبي إبراهيم آزر فقال بل اسمه تارخ ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن

سليمان بن صرد قال لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب فلما أرادوا أن يلقوه في النار قال : حسبي الله ونعم الوكيل فلما ألقوه قال الله تعالى : ﴿ كُونِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٩) فقال عم إبراهيم من أجلي دفع عنه فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته . فقد صرح في هذا الأثر بعم إبراهيم عليه السلام .

قال الحافظ السيوطي وفيه فائدة أخرى وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار . وقد أخبر الله تعالى في القرآن المجيد بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو لله وورد في الآثار أن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر له بعد ذلك .

أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قال كان يرجوه في حياته فلما مات على شركه تيرأ منه ثم هاجر إبراهيم عقب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك في القرآن يعني ونجيناها ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . قال ثم بعد مدة من مهاجرته دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر ثم رجعا إلى الشام ثم أمره الله تعالى أن ينقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة . . إلى قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ فاستغفر لوالديه . وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة فيستنبط من هذا أن المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار هو عمه لا أبوه الحقيقي .

روى ابن سعد في الطبقات عن الكلبي قال هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام

وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة فأتى حران فأقام بها زمناً ثم رجع إلى الشام فنزل السنع^(١) أرضاً بين إيلياء وفلسطين ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء .

وروى ابن سعد عن الواقدي قال ولد لإبراهيم إسماعيل وهو ابن تسعين سنة فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة نيلاً وخمسين سنة . فافهم والله الحمد على ما ألهم . فقد تحقق مما قررناه عن الصحابة وغيرهم أن الأصول الكرام من عهد آدم إلى إبراهيم عليهما السلام مؤمنون بلا شبهة .

وذكر صاحب القاموس في باب الرء أن أزر كهاجر اسم عم إبراهيم عليه السلام وأما أبوه فاسمه تارح وذكر قبله في باب الحاء المهملة إلى تارح كآدم أبو إبراهيم . انتهى .

وقد مر أن العرب تطلق الأب على العم إطلاقاً شائعاً كما نص عليه الحافظ والمحقق الساجلي . قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ فأطلق على إسماعيل لفظ الأب مع أنه عم يعقوب . كما أطلق على إبراهيم وهو جده .

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول الجذاب ويتلو الآية وأخرج عن أبي العالية في تفسير الآية قال سمي العم أباً . وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال : الخال والد والعم والد وتلى الآية فهذا القرآن وأقوال الصحابة والتابعين وأهل اللغة اتفقت على تسمية العم أباً . فقد اتضح الحال وطاح الإشكال وأضاءت شمس تلك الأدلة إضاءة ذكاء في منتصف النهار وماذا بعد الحق إلا الضلال ولكنها لا تعمى الأبصار .

(١) قوله : السبع : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة . انتهى .

تنبيه :

قد استفيد مما تقدم أن تارح لم يدرك زمن نمرود فعلى ما تقرر من أقوال السلف تحرر أن أبا الخليل وهو تارح كان مؤمناً بيقين ولعل هذا هو السر في التصريح بارز في الكلام القديم . فتدبر .

العقد الرابع :

قال الحافظ ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى زمن عمرو بن لحي .

وذكر صاحب الملل والنحل أنه كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدور العرب شائعاً وأول من غير واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي .

وفي طبقات ابن سعد أن العرب لم يكفر منهم أحد من زمن إبراهيم إلى عهد عمرو بن لحي كما في الأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره .

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيَّب السوائب » .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أول من سيَّب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإنني رأيته يجر أمعاءه في النار » .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار . إن أول من غير دين إبراهيم فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي » .

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية لييك اللهم لييك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك قال فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك وذكر السهيلي أن ذلك كان على يد عمرو بن لحي حين خرجت جرهم من مكة بغلبة خزاعة عليها وذكر نحوه ابن إسحاق وزاد فيهما عمرو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال إلا شريك هو لك فأنكر عليه عمرو فقال الشيخ قل تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فتبعه عمرو ودانت به العرب .

وذكر الحافظ ابن كثير أن العرب كانوا على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن انتزع عمرو ولاية البيت من أجداد النبي ﷺ وذكر نحو ما تقدم إلى أن قال وفيهم بقايا على دين إبراهيم وكانت مدة ولاية خزاعة وهي ولاية مشؤومة ثلاثمائة سنة إلى أن جاء قصي جد النبي ﷺ فقاتلهم وانتزع ولاية البيت منهم .

ثبت أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى زمن عمرو الشقي كلهم مؤمنون بلا ريب وقول ابن كثير وفيهم بقايا على دين إبراهيم ينبغي اختصاصها بأولاد إسماعيل عليه السلام لا غير ويشهد لذلك آيات وآثار قال جل ثناؤه : ﴿عَقِبْهُ﴾ .

أخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم .

وأخرج أيضاً مع ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد مثله . وقال أيضاً : حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في تفسير ذلك قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده .

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ﴾ قال : الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده . وأخرجه ابن المنذر زاد وقال ابن جريج فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله . وقال أيضاً فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة .

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور .

وأخرج عن عطاء قال العقب ولده وعصبته . وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ . أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته . واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب ابن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش وذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام وفيه من قوله تعالى لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام واجعله أمة واحدة قانتاً بأمرى داعياً إلى سبيلي أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم وأستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته . . الحديث . فهذا الحديث موافق لقول مجاهد آنفاً ولا شك أن ولاية البيت كانت بأجداد النبي ﷺ خاصة دون سائر ذرية إبراهيم عليه السلام إلى أن انتزعها منهم عمرو بن لحي الخزاعي ثم عادة إليهم فعرف أن كل ما ذكر في ذرية إبراهيم عليه السلام من خير فالولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة رحمهما الله تعالى أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام فقال لا . . ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبِي وَتَيْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٢٥) الآية . قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم فقال لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذا أسكنهم إياه فقال : ﴿ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال : ﴿ وَاجْتَنِبِي وَتَيْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٢٥) فيه . وقد خص أهله فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ إلى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ ﴾ فانظر لهذا الجواب السديد من هذا الإمام الكبير وناهيك أنه شيخ الإمام الشافعي رضي الله عنهما .

وأخرج الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي رحمهما الله تعالى قال قالت سارة لما بشرتها الملائكة ﴿ يَتَوَلَّيْنِي إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ ترد على سارة ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ ﴾ قال فهو كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾ .

وأما قصة البيت الحرام في حديث البيهقي فلم أقف عليه الآن ولكن الذي رأيته في الملل والنحل أنه اختلف في أول من بنى البيت الحرام ف قيل إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع على سرنديب من أرض الهند فصار متحيراً فوافى حواء سلام الله عليهما بجبل الرحمة من عرفات ثم صار إلى أرض مكة فدعا وتضرع إلى الله تعالى أن يأذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافاً لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة فأنزل الله عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت فكان يتوجه إليه ويطوف به ولما توفي تولى وصيه شيث بناء البيت الحرام من الحجر والطين على الشكل المذكور . ثم خرب بالطوفان وامتد الزمان إلى أن انتهت النبوة إلى الخليل عليه الصلاة والسلام فحملت هاجر هناك فولدت إسماعيل عليه السلام .

قلتُ : الكلام يفيد أن إسماعيل ولد هناك وهو مخالف لما نقلناه عن السيوطي آخر العقد الثالث من أن إسماعيل كانت ولادته بالشام قبل الهجرة إلى مكة ويوافقه ما ذكره البيضاوي في تفسيره تأمل قال صاحب الملل ثم اجتمعا على بناء البيت وذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ رَفَعُوا بُيُوتَهُمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ فرفعاها على مقتضى إشارة الوحي مراعيان فيها جميع المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محافظان فيها جميع المناسبات التي بينها وبين الشرع الأخير وبقي الشرف والتعظيم إلى أن استولى على البيت عمرو بن لحي ثم صار إلى مدينة البلقاء بالشام فرأى قوماً يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا له هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستشفى بها فنشفى فأعجبه ذلك وطلب منهم صنماً فدفعوا إليه هبل فصار به إلى مكة فوضعه في الكعبة . فمن قال إن البيت الحرام إنما هو بيت زحل بناء الباني الأول على طوابع معلومة وسماء بيت زحل فقد كذب . انتهى .

فائدة جليلة :

أخرج الحاكم في تاريخه والديلمي عن عطية بن بشر مرفوعاً في قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال علمه في تلك الأسماء ألف حرفة من الحرف . وقال له يا آدم قل لأولادك وذريتك إن لم يصيروا عن الدنيا فليطلبوها بهذه الحرف ولا يطلبوها بالدين فإن الدين لي وحده خالصاً ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له .

والحاصل أنا قد اسمعناك ما تستشفى به أرواح المؤمنين من الكلام النبوي وكلام الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين مما هو دال على توحيد الأصول الطاهرين من عهد آدم إلى عبد الله بيقين ولتتل عليك ما ورد من الأخبار

المنقولة عنهم من عبد الله إلى عدنان في الجملة .

وهو العقد الخامس : أخرج أبو نعيم وغيره من طريق عطاء عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب من مكة بابنه عبد الله بعد نجر الإبل مر به على كاهنة من نبالة بفتح النون موضع باليمن أو بالطائف يقال لها فاطمة بنت مر بضم الميم الخثعمية قالت لعبد الله لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن لما رأت من نور النبوة الساطع في وجهه زاد البرقي عن هشام الكلبي وكانت من أجمل النساء وأعفهن فأعرض عنها عبد الله وقال شعراً :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه
فأجابته بأبيات منها :

إنني رأيت مخيلة نشأت فتلاأت بحناتم القطر
قسماتها نور يضيء به ما حوله كإضاءة الفجر
وقد سبق قصة حفر زمزم وانقياده للذبح استسلاماً لأمر الله عز وجل من شعره رضي الله تعالى عنه ما أورده في المسالك عن الصلاح الصفدي :

لقد حكم السارون في كل بلدة بأن لنا فضلاً على سائر الأرض
وإن أبي ذو المجد والسؤدد الذي يشار به ما بين نشر إلى خفض
وجدي وآباء له اثلوا العلا قديماً بطيب العرق والحسب المحض
وأخرج أحمد والبخاري والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينه وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت » . ؟

قال السيوطي وكذلك أمهات الأنبياء يرين ولكن الذي رآته أم رسول الله ﷺ

في حال حمله به وولادتها له أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فمن ذلك ما أخرجه في المواهب وشرحها عن ابن عباس وكعب الأحماس أن أمّة كانت تقول : « أتاني آتٍ حين مرّ بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا أمّة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه مُحَمَّدًا واكتمي شأنك قالت ثم أخذني ما يأخذ النساء وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة^(١) عظيمة وأمرأً عظيماً هالني ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فإذا إنا بشرية بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال ، ثم رأيت نسوة كالتخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فينأنا أنا أتعجب وفي رواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين وفي رواية فيها ضعف فينأنا أنا كذلك إذا بديباج قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه إذا ولد عن أعين الناس قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام . مضروبات : علماً بالشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فولدتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فنظرتُ إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيت غيبتها عني ثم سمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته

(١) قوله : وجبة بجيم وباء موحدة وزان ثمرة معناها السقوط يقال وجب الحائط ونحوه وجبة سقط وكذلك يقال وجب القلب وجباً رجف والمراد أنها سمعت شيئاً عظيماً أفزعها من غير أن تراه . انتهى .

ويعلموا أنه سمي الماحي لأنه لا يبقى شيء من الشرك في زمنه ثم انجلت عنه في أسرع وقت . ذكره مولانا العلامة محمد عlish في حاشيته على المولد الشريف .

وفي المواهب وشرحها عن همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري أن أم رسول الله ﷺ قالت لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاءت له قصور الشام فولدته نظيفاً ما به قدرٌ . رواه ابن سعد وإلى هذا أشار عمه العباس رضي الله عنه في شعره حيث قال :

وأنت لما وردت أشرقْتَ الـ أَرْضُ وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ نور وسبل الرشاد تحترق

وأنت الأفق على تأويله الناجية . وفيه عن كعب الأحبار أنه نودي ليلة حمل المصطفى ﷺ في السماء وصفاحها أي جوانبها والأرض ويقاعها أن النور المكنون الذي منه نور رسول الله ﷺ انتقل في بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى وطوبى فعلى من الطيب من فرح وقرة عين وغير ذلك من الطيبات ومنها الجنة والشجرة والكل مراد هنا فهذه بشارة من الملك فلا مانع أن الله أعلمه فبشرها بذلك قلت وهذا هو الصواب فافهم .

وفي حاشية العلامة الأمير أن كعباً علم ذلك ، إما بأخبارٍ وجدها في بعض الكتب الإلهية أو أنه تلقاه عن أحبار يعلمون ذلك لأنه كان من علماء اليهود ثم أسلم . والصحيح أنه كان على يد عمر وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم .

وأخرج صاحب المواهب عن أبي نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم بضم الراء وفي كتب السيوطي نقلاً عن أبي نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم ووفق الزرقاني فقال لعل اسمها أسماء وكنيتها أم سماعة عن أمها قالت

شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد ﷺ يفع بفتح الفاء كما في القاموس أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه ثم قالت شعراً :

بارك فيك الله من غلام	يا ابن الذي من حومة الحمام
نجبا بعون الملك الغلام	فدى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صحما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث في التحقيق والإسلام	دين أبيك البر أبراهام
فالله أنهاك عن الأصنام	أن لا تواليها مع الأقوام

جمع قوم الجماعة من الرجال والنساء وبه صدر المجد وهو المراد هنا والمعنى أنهاك مقسمة عليك بالله أن لا توالي الأصنام. بنصرة وتعظيم وعبادة للفظ الجلالة منصوب على التوسع . ثم قالت رضي الله عنها كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيراً وولدت طهراً ثم ماتت رحمها الله تعالى ورضي عنها ونفعنا بها وبمحبتها وأماتنا على سنة ولدها ﷺ آمين .

وهذا القول منها صريح في أنها موحدة إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها ﷺ بالإسلام من عند الله وقد نهته عن الأصنام وموالاتها وعبادتها فقد أفادت الاعتراف بالله تعالى وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام وصدقت بالبعثة وهل التوحيد شيء غير هذا . ولذا قال العلامة الزرقاني وهذا القدر كاف في زمن الجاهلية وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة . انتهى .

ومن الظن السيء أو الجهل المحض أن كل من مات في الجاهلية كان كافراً فإنه قد تحنف فيها جماعة كما وردت الأحاديث بذلك وتضافرت بها . تقول

العلماء فلا بدع أن السيدة آمنة كذلك بل هي أولى لأن أكثر من تحنف إنما كان سببه ما سمعه من أهل الكتاب من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وكذا وأما أمه ﷺ فقد سمعت وشاهدت ما لم يسمعوا ولم يشاهدوا من ذلك ما سمعته من اليهود حين قدمت به إلى المدينة من شهادتهم له بالنبوة وما شاهدته في حمله وولادته من الآيات الباهرة ورأت النور الذي خرج منها حتى أضاء له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة رضي الله عنها حين جاءت به وقد شق صدره الشريف أخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل . وإنه لكائن لابني هذا شأن فهذا كله يؤيد أنها تحنفت في حياتها .

قال الراوي فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك أبياتاً :

نبكي الفتلة البرة الأمينه	ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه	أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه	صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه	وللمنايا شفرة سنينه
لا تبقى ظعاناً ولا ظعينه	إلا أتت وقطعت وتينه

فإن قلت حيث ثبت أن الوالدين الكريمين كانا على الحنيفية فما فائدة إحيائهما وإيمانهما به ﷺ قلت : فائدته أظهر من الشمس وهي التشرف بالإيمان به ﷺ بعد البعثة ولينالا فضيلة الصحبة فيمتازا على غيرهم من الآباء الكرام والله أعلم .

وأما عبد المطلب فقد مر شرحه قبيل هذا الباب بما لا مزيد عليه وخلاصته أنه مؤمن بالله تعالى ومصدق بالبعثة والبعث وبأن الله فاعل مختار يثيب المحسن بفضله ويجازي المسيء بعدله .

وهذا القدر كاف وزائد على المطلوب في التوحيد من أهل الفترة وإنما كان ذلك ببركته ﷺ كما قال الشهرستاني في الملل والنحل ظهر نور النبي ﷺ في

أسارير عبد المطلب وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده وببركة ذلك النور كان يأمر أولاده بترك البغي والظلم ويحثهم على مكارم الأخلاق وبنهاهم عن دنيات الأمور وببركة ذلك النور يقول في وصاياه أنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتنصيه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذكر ففكر فقال والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته وببركة ذلك النور قال لأبرهة إن لهذا البيت رباً يحفظه . ثم قال وقد صعد أبا قيس :

لاهمَّ إن المــــرأيم نـع رحلـه فامنع رِحالك
لا يغلبــــن صليبهــــم ومحالهم^(١) عدوى محالك
فانصر على آل الصليـب وعابديه اليوم آلك

وقال العلامة الأمير في حاشيته كان عبد المطلب مجاب الدعوة قد حرم الخمر على نفسه وهو أول من تعبد بحراء وكان إذا دخل رمضان صعد إليه يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال .
وذكر نحوه مولانا العلامة عليش في حاشيته على المولد الشريف .

(تكميل) :

أخرج ابن عساكر عن أمانة رفعه من ولد له مولود فسماه محمداً كان هو ومولوده في الجنة .

قال الحافظ السيوطي هذا مثل حديث ورد في هذا الباب وإسناده حسن .
رواه العلامة المحقق صاحب رد المحتار في حاشيته على الدر المختار .

(١) قوله : ومحالهم الخ بكسر الميم بعدها حاء مهملة قال ابن الأثير في النهاية المحال الكيد والقوة . انتهى . وفي المصباح العدوى بفتح العين المهملة وسكون الدال المهملة ومعناها كما يستفاد من المصباح الاستعانة بمن ينتقم ممن ظلمك واعتدى عليك . تأمل . انتهى .

قلت فقد أفاد تعدد أحاديث هذا الباب والحمد لله وإذ تحقق ذلك فعبد المطلب رضي الله عنه معه ﷺ في الجنة لأنه هو الذي سماه محمداً ﷺ .

روى البيهقي عن أبي الحسن التنوخي قال لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله ﷺ ذبح عنه جده ودعا قريشاً فلما أكلوا قالوا ما سميته قال سميته محمداً قالوا لم رغبت به عن أسماء أهل بيته قال أردت أن يحمد الله في السماء وخلقه في الأرض .

وذكر السهيلي وأبو الربيع الكلاعي أن عبد المطلب إنما سماه محمداً لرؤيا رآها زعموا أنه رأى مناماً كأن سلسلة خرجت من ظهره ولها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف بالشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على شكل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء وأهل الأرض .

فلذلك سماه محمداً ﷺ معاماً حدثت به آمنة من أنها أتاها آتٍ وهي بين النوم واليقظة فقال لها إذا وضعتيه فسميه محمداً ﷺ . رواه العلامة العارف نجم الدين الغيطي في المولد الشريف نفعا الله به .

وفيه أنه لما جاءه البشير بولادته ﷺ سر بذلك سروراً عظيماً فاخذه وأدخله الكعبة وقام عنده يدعو الله كثيراً ويشكره على ما أعطاه وعوذه بقصيدة منها هذا البيت :

أعيذك بالواحد من شر كل حاسد

وفيه كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الأذفر ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرته وكانت قريش إذا أصابهم قحط يستسقون به فيسقيهم الله غيثاً عظيماً . انتهى .

فإن قلت الحديث الشريف إنما يصدق على الأب وعبد المطلب جده ﷺ

قلتُ : قد أطبق العلماء أن الجد بمنزلة الأب عند فقدته في كثير من الأبواب كما لا يخفى ويرجو الضعيف أن يدخل مع أبيه في عموم الحديث الشريف .

فائدة :

ورد في صحيح مسلم أن أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن .

قال المناوي رحمه الله تعالى وهذا محمول على من أراد التسمي بالعبودية لأنهم كانوا يسمون عبد شمس وعبد اللات .

فلا ينافي أن اسم محمد وأحمد أحب الأسماء إلى الله تعالى من جميع الأسماء فإنه لم يختزلنبه ﷺ إلا ما هو أحب إليه هذا هو الصواب . انتهى من رد المحتار وأما هاشم رضي الله عنه فإنه كان يحمل ابن السبيل ويؤدي الحقوق .

وكان نور رسول الله ﷺ يتلألأ في وجهه لا يراه أحد إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا سجد له وكان يضرب بجوده المثل مات وسنه عشرون سنة . قلتُ فحينئذ دخل في عموم حديث سألت ربي أبناء العشرين فوهبهم لي كما مر .

وأما عبد مناف رضي الله عنه فذكر الزبير رضي الله عنه أنه وجد نقشاً في حجر أن المغيرة بن قصي أمر بالتقوى وصلة الرحم وكان يبغض الأصنام وكان فيه نور رسول الله ﷺ . وأما قصي رضي الله عنه فكان عالم قريش وأقومها للحق وكان يجمع قومه يوم العروبة ويذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم بأنه سيبعث فيه نبي . أفاده العلامة الأمير والعلامة عليش في حاشيتهما زاد صاحب الملل والنحل أن قصياً كان ينهى عن عبادة غير الله عز وجل من الأصنام وهو القائل شعراً :

أربُّ واحد أم ألف ربُّ أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

وأما كعب رضي الله عنه فقد نقل الإمام المناوي رحمه الله تعالى عن الروض في فيض القدير على الجامع الصغير أن كعباً هو أول من جمع يوم العروبة وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع عليه فيخطبهم ويذكرهم ذكره مولانا الجد المرحوم في مجموعته ومثله في حاشيته العلامة عlish ولكنّه فسر التذكير بمبعث النبي ﷺ وإعلامهم بأنه ولده وأمرهم باتباعه والإيمان به وكان ينشد في هذا أبياتاً منها قوله :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا
ونظيره في حاشية العلامة الأمير والمسالك .

قال الحافظ السيوطي وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وزاد فيه بأن كعباً كان يوصي ولده مرة بالإيمان بالنبي ﷺ .

قلت : وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه الحديث .

وأما كنانة رضي الله عنه فقد كان عالماً فاضلاً والعلم نور يهدي إلى الحق .
والظاهر أنه كان على ملة إبراهيم دين أبيه .

وأما خزيمة رضي الله عنه فعن ابن عباس رضي الله عنهما مات خزيمة على ملة إبراهيم وقد اجتمع فيه نور آبائه مع نور النبي ﷺ .

وأما مدركة رضي الله عنه فالظاهر أنه كان على ملة إبراهيم عليه السلام لما سيأتي أن أباه رد قومه إلى هذه الملة وكان فيه نور المصطفى ﷺ بيناً .

وأما إلياس رضي الله عنه فهو أول من أهدى إلى البيت الحرام وكان يسمع

من صلبه دوي تلبية النبي ﷺ بالحج وكانت العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة
كلقمان .

قال الزبير بن بكار ولما بلغ إلياس أنكر على بني إسماعيل تغيير سنن آبائهم
وظهر فضله عليهم فردهم إلى سنن آبائهم وسيرهم وكان ذا جمال بارع .

قال الإمام السهيلي ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال في إلياس أنه كان مؤمناً
وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج ذكره في المسالك .

وأما مضر رضي الله عنه فقد مضر القلوب بحسنه ولم يره أحد إلا أحبه .
ومن حكمه : من يزرع شراً يحصده ندامةً وخيرُ الخيرُ أعجلُهُ فاحملوا أنفسكم
على مكروهاها واصرفوها عن هواها فيما يفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا
صبر فواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحلبتين وكان من أحسن الناس صوتاً وهو
أول من سن الحداة بضم الحاء ممدود الغناء للإبل والكل من حاشيتي
العلامتين المذكورين بقليل زيادة وبالجملة فكل آباء النبي ﷺ سادة فضلاء
وقادة نبلاء قدطلع فجر شرفهم فأضاء ما بين المشرقين والمغربين وسوى صوت
صدى صيتهم في جميع الآفاق مسرى النيرين فيا حبذا السادة أولو الفضل
والفخار الموصوفين بكل نعت جميل رفيع المنار .

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الأمهات والآباء
وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء

ويكفيهم شرفاً وفضلاً ما أودعه الله تعالى فيهم من النور المحمدي فقد
طفحت الأخبار أن نور المصطفى ﷺ كان يتلأل في وجوههم رضي الله تعالى
عنهم ونفعنا بهم . والكفر ظلمة وهما ضدان وقد نصوا أن عدنان إنما سمي بذلك
لأن الله تعالى أقام عليه من يحفظه من الإنس والجن حين عزموا على قتله لما رأوا
فيه من أنوار النبوة وقالوا لئن تركنا هذا الغلام ليخرجن من ظهره من يسود الناس
ويغلب ملوكهم فوكل الله به من يحفظه إكراماً لنبيه ﷺ ذكره العلامة الأمير .

هذا وقد اعتنى الحافظ السيوطي شكر الله سعيه فاستنبط دليلاً قطعياً من مقدمتين صريحاً في المطلوب بيقين .

إحدهما : أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل أصل من أصوله ﷺ هو خير قرنه وأفضلهم .

الثانية : أن الأحاديث والآثار مصرحة بأن الأرض لم تخل من قوم على الفطرة يعبدون الله ويوحّدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت ومن عليها من عهد آدم إلى بعثة النبي ﷺ ثم إلى قبيل قيام الساعة وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين انتج منهما قطعاً أن جميع أصول النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك مطلقاً لأنه قد ثبت وصح في كل منهم أنه خير قرنه فإذا كان من على الفطرة هم الأصول فهو المدعي وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد أمرين .

أما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة والنصوص القوية .

وأما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالكتاب والسنة والإجماع .

وفي الكتاب المجيد : ﴿ وَلَمَبَدُّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ ﴾ الآية . فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك وإذا كان كذلك ثبت قطعاً أنهم على التوحيد ليكون كل فرد منهم في زمنه خير أهل الأرض وقد سردنا عليك أدلة المقدمة الأولى في العقد الأول فراجعها ولنسمعك أدلة المقدمة الثانية .

أخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن معمر عن ابن جريج قال : قال ابن المسيب قال لي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها » ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم المرفوع .

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند

صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض وهذا أيضاً له حكم الرفع . وإنما قيده بما بعد نوح لأنه من قبله كان الناس كلهم على الهدى كما مر . وأخرج الأزرقى عن زهير بن محمد قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ولولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمان إبراهيم عليه السلام فإنه كان وحده .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢١٨) . قال ما زال الله في الأرض ولي منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر روى ابن القاسم عن مالك قال بغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا يزال الله في الأرض ولي ما دام للشيطان فيها ولي . الكل من المسالك وشرح المواهب إلى هنا قد كملت العقود بإذن الملك القادر المعبود .

نسب تحسب العلا بحلاه قلدها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء
فهذه فرائد الأئمة من كل حبر مفضل ودع عنك ما كان سرايا من قبل وقال ولو أردنا إيراد الغث مع السمين لأوردنا نحو حديث : « أن الله أحيى عبد المطلب حتى آمن بالصادق الأمين » كما ذكره الحافظ في مسالك الحنفاء مصرحاً بشدة ضعفه .

وقال الزرقاني أنه باطل لكنني بحمد الله تعالى لم أحتج إلى ذلك لما في

الميدان من الأدلة القوية غني عما هنالك كما قيل .

ففي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

فوائد شتى :

الأولى : ذكر العلامة الجمل رحمه الله تعالى في حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّانَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إن الذرية هنا تصدق على الآباء والأبناء فإن المؤمن إذا كان عمله كثيراً ألحق به من هو دونه في العمل أباً كان أو ابناً .

ففي القرطبي عن ابن عباس وغيره إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الآباء . وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله الآباء إلى الأبناء . فالآباء داخلون في اسم الذرية . كقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ . ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب فإن كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة كما قاله الخطيب .

وفي القرطبي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول : « يارب إني عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به . انتهى .

الثانية : ذكر العلامة الجدل رحمه الله تعالى ونفعنا به في مجموعته معزواً للشيخ علي القاري في شرح المشكاة للحافظ السيوطي أنه لم ترضعه ﷺ امرأة إلا أسلمت .

قال ومرضعاته أربع : أمه وقد ورد الحديث بإحيائها حتى آمنت به ﷺ وحليمة وثوية وأم أيمن رضي الله تعالى عنهن . انتهى .

قال العلامة الجد رحمه الله تعالى يؤخذ من نقل علي القاري إيمان أمه وإقرارها له بالرجوع إليه حيث لم يتعقبه .

ولعل نشرح للمشكاة متأخر عن شرحه الفقه الأكبر . انتهى .

وقد رد العلامة الساجقلي على علي القاري حيث قال لعل البرودة أثرت في رأسه فاختل عقله عافانا الله من كل ما يشين وعفى عنا أجمعين .

الثالثة : حدثني من أثق بحديثه . قال حدثني رجل موثق به من أهل بخارى القادمين إلى زيارة النبي ﷺ أن الموجود عندهم في نسخة الفقه الأكبر والدارسول الله ﷺ ما ماتا على الكفر وعليه فيكون قد دس في العبارة بإسقاط ميم واحدة أو العبارة كلها ممدسوسة كما مر عن العلامة الطحطاوي معزياً لابن حجر فتبصر . ولا يخفى أن مفاهيم أقوال المجتهدين والعلماء معتبرة كما في كتب الأصول فبناء على حديث البخاري يكون مفهوم النص أنهما ماتا على الإيمان . نسأل الله تعالى أن يدخلنا معهم دار السلام بأمان .

* * *

الباب السادس

في بيان أن الله تعالى أحيى

الوالدين الكريمين حتى آمنا بالنبى ﷺ

إعلم أن مما يتأكد وجوب الإيمان به صلاحية القدرة الإلهية على الإيجاد والإعدام في كل الأحيان وهو القاهر فوق عباده لا يعجزه شيء في كل عصر وزمان ومكان وقد حبا حبيبہ ﷺ بما شاء مما جرت به العادة أم لا وكلاهما في جنب القدزة الباهرة على حد سواء . فمن ذلك إحياء والديه الكريمين حتى آمنا بالجناب الرفيع ثم أعيدا بمقتضى الحكمة على أسلوب بديع . وقد لهج بذلك العلماء في القديم والحديث ورواه جمع عظيم من ثقة الحفاظ وأئمة الحديث فمنهم الحافظ بن شاهين والحافظ الخطيب البغدادي وابن عساكر والسهيلي والقرطبي والمحجب الطبري وابن سيد الناس والحافظ بن ناصر الدمشقي والحافظ بن حجر والحافظ السيوطي والصلاح الصفدي وابن المنير بالتكبير .

ونقله عن هؤلاء الأئمة جماهير العلماء الأعلام مستدلين بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما . رواه الحافظ السهيلي في كتابه الروض والخطيب في كتابه السابق واللاحق .

وروى الحافظ ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ قال حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة ، حدثنا أبو غزوة محمد بن يحيى الزهري . حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن

عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ، ثم رجع مسروراً فقلتُ يارسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسروراً قال سألت الله ربي فأحيا لي أُمي فأمنت بي ثم ردّها .

وروى الحافظ الخطيب في السابق واللاحق قال أنبأنا أبو العلاء الواسطي . حدثنا الحسين بن محمد الحلبي . حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد . حدثنا علي بن أيوب الكعبي . حدثنا محمد بن يحيى الزهري عن أبي غزية . حدثنا عبد الوهاب بن موسى . حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله ﷺ فمر بي على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم فبكيتُ لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت إلى جنب البعير فمكثت عني طويلاً ثم عاد وهو فرح متبسم . فقلت له بأبي أنت وأمي يارسول الله نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إلي وأنت فرح متبسم فمم ذاك يارسول الله فقال ذهبت لقبر أُمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فأمنت بي وردّها الله .

وروى الحافظ الطبري في سيرته قال : أنبأنا أبو إسحاق بن المقيّر أنبأنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازةً أنبأنا أبو منصر محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر ، حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري ، حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً قال سألت ربي فأحيا لي أُمي فأمنت لي ثم ردّها . والكل مذكور في المواهب وشرحها .

واعلم أنه قد وضع للعلماء اختلاف فيما ذكرناه فمن مصحح ومن مضعف فعلى الأول الحافظ ابن ناصر الدمشقي والقرطبي وغيرهما واعتمده جم غفير من المحققين منهم العلامة ابن حجر في كتابه الزواجر والمولد الشريف وشرح الهمزية ومشى عليه العلامة التلمساني وذكره المحقق صاحب رد المحتار وأقره ومال إليه العلامة الطحطاوي وذكره العارف الشعراني في اليواقيت والجواهر وأقره وعلقه مولانا الجد على مجموعته عن شرح المشكاة وارتضاه . وعلى الثاني الحافظ السهيلي والحافظ السيوطي .

واستفيد ن كلام العلامة الزرقاني قول ثالث بالتوفيق وهو أن من قال بضعف الحديث مراده من جهة اللفظ والسند بمقتضى الصناعة الحديثية لا من جهة العمل والاعتقاد فإنه صحيح من هذا الوجه ، ومن قال بالصحة مراده العمل والاعتقاد يعني من غير التفات إلى لفظ ولا إلى سند أصلاً وعلى ذلك السادة الصوفية فهم تارة يعولون على أن الكلام نبوي عن ذوق وفهم ناشئ من تنوير إلهي ولا غرابة في ذلك لأن هذا قد يحصل بكثرة الممارسة وقوة المزاولة . وفي حديث الجامع الصغير : « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعادكم منه » . انتهى .

فتلخص أن فيما ذكرناه من الأحاديث أقوالاً ثلاثة للعلماء رحمهم الله تعالى : قولاً بالصحة وقولاً بالضعف وقولاً بالتوفيق . والله ولي التوفيق .

وقد ردوا بأسرهم على من زعم الوضع حتى إن الحافظ السيوطي عاب على الزاعم من جهة الصناعة الحديثية التي هي مرقاة إلى الطعن في الحديث . وكذا حافظ الشام وابن طاهر المقدسي وغيرهما قالوا ومع هذا فاته الأدب مع النبي ﷺ ومشى عليه العلامة الزرقاني حيث قرر وأفاد وعندما بسط الكلام

وحرر هذا المقام أن الحديث غير موضوع قطعاً لأنه ليس في رواته من أجمع على جرحه والذي أورثه الضعف طعن بعض المحدثين في بعض رواته ولذا قال الحافظ بن حجر لولا تفرد الراوي به وهو أبو غزية لحكمت عليه بالحسن على مقتضى الصنعة . انتهى . كيف وله متابع أجود منه وهو طريق الحضرمي وقد عرف باللين ونسبة اللين من ألفاظ التعديل الذي يحكم لصاحبه بالحسن إذا توبع . انتهى . ذكره في المواهب وشرحها .

قلت : فعلى هذا التقرير يكون الحديث فيأول مراتب الضعف تنبه . قال في الدرج المنيفة قد جعل أئمة الحديث هذا الحديث ناسخاً ولم يبالوا بضعفه لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه فضيلة ومنقبة .

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر عن ذلك فكتب على السؤال مثل هذا الجواب كما أخبر بذلك من وقف على خطه من الثقات الفضلاء . قال الزرقاني وهو في غاية التحرير . ولذا قال الحافظ بن شاهين : هذا الحديث ناسخ لما ذكر من الأخبار .

وذكر في سبل النجاة أن هؤلاء الأئمة جعلوا هذا الحديث ناسخاً لما يخالفه وفي المقامة السندسية وما زال أهل العلم والحديث يروون هذا الحديث وبه يسرون ويشهرونه بين الناس ولا يسرون ويعتبرون مالين من الأحاديث في الفضائل والمناقب . وقد خرجت الأئمة في هذا الباب ما هو أشد ضعفاً من هذا الحديث وتسامحوا في الفضائل بإيراد ما لم يصل إلى رتبته ولا حاذى ووجهه بأنواع من التوجيه وارتضوه . انتهى .

تنبيهان :

الأول : إنما يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال لأجل تحصيل الفضيلة المترتبة عليه . قال ابن حجر لأنه إن كان صحيحاً في نفس الأمر فقد

أعطى حقه من العمل وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحریم ولا ضیاع حق للغير . وفي حديث ضعيف : « من بلغه عني ثواب عمل فعمله حصل له أجره وإن لم أكن قلته » انتهى من حاشية الدر المختار للطحطاوي .

وقال صاحب رد المحتار معزياً للسيوطي ويعمل بالحديث الضعيف أيضاً في الأحكام إذا كان فيه احتياط . انتهى .

قلت : وما نحن فيه من هذا القبيل لكن شرط العمل بالحديث الضعيف كما في الدر المختار وحواشيه أن لا يشتد ضعفه وأن يدخل تحت أصل عام وأن لا يعتقد عند العمل به وروده عن النبي ﷺ بل يعتقد الاحتياط .

أقول : قد مر أن حديث هذا الباب كاد أن بلغ درجة الحسن لتعدد طرقه إلا أنه منع منها أفراد أبي غزية به وقد علمت أن هذا كله مبني على مقتضى الصنعة الحديثية .

والمراد بالأصل العام هنا والله أعلم مضمون قوله تعالى : ﴿ وَكَسَّوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ وقول القائل :

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

الثاني : يستفاد مما مر آنفاً من أن حديث الإحياء ناسخ لما يخالفه أن ما لم يخالفه لم يكن ناسخاً له حديث : « ما سألتها ربي فعطيني فيها وإن لقاتم يومئذ المقام المحمود » كما سبق فيكون غير منسوخ . وكن على ذكر مما مر آنفاً أن بكاءه ﷺ كان حزناً وأسفاً على ما فاتهما من الاجتماع به ليؤمننا به فيحوزا شرف الصحبة كما نص عليه شيخ مشايخنا العلامة الطحطاوي والقاضي عياض والساجلي وغيرهم ولتقر عينه الشريفة برؤية والديه وقد رحم الله بكاءه وأقر عينه وأجاب دعاءه .

ألا ترى أن الرجل منا لو مات أبواه وهو صغير يود أن يراهما ولو في المنام فكيف بمن جعله الله رحمة للأنام .

بهذا التعليل لدفع الإيراد الوارد على ما نحن فيه بحذافيره فلا يقال ما فائدة إحيائهما بعد أن ماتا ناجيين موحدين .

والحاصل أن الإحياء والإيمان بعد الموت أمر ممكن عقلاً ونقلًا وقد ورد القرآن المجيد بذلك قال جل ثناؤه : ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(١) إلى قوله ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) فظاهر النظم الكريم أن هذا كان كافراً بدليل عطفه على الذي حاج إبراهيم في ربه في أول الآية قبله وقد أحياه الله تعالى وآمن ولذا قال القرطبي وليس إحيائهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً كما نقله عنه في المسالك وشرح المواهب .

فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله . وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى بإذن الله . وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما أحى الله له والديه أحى جماعة من الموتى على يديه فأحى ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء إلى قبرها وناداه فقالت ليبيك وسعديك . رواه البيهقي في الدلائل . وتوفي شاب من الأنصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياه الله . رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما .

ولما مات زيد بن حارثة من سراة الأنصار كشفوا عنه فسمعوه يقول محمد رسول الله . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت . وأخرج ابن الضحاك أن أنصاريّاً توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله . انتهى .

فإذا علمت هذا وعلمت أن الله رحم العجوز العمياء وأجاب دعاءها كرامةً

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

له صلى الله تعالى عليه وسلم فأولى أن يرحم حبيبه ويجيب دعاءه في والديه .
ولذا قال الإمام السهيلي رحمه الله تعالى : الله قادر على كل شيء وليس
تقصّر قدرته ورحمته عن شيء ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أهل أن يختص
بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته وأشار كل من الإمام السهيلي
والإمام القرطبي إلى الرد على من استبعد ذلك . وعلى من قال إن هذه الحياة
لا تنفع كما سيأتي وما أعذب قول حافظ الشام شعراً في هذا المقام .

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً منيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفاً
يعني ولو فرض أن الحديث به ضعيف فكيف إذا كان صحيحاً كما هو
القاعدة في الحرف الوصلي وهي أن يكون نقيض ما بعدها أولى بالحكم كما
نص عليه في رد المحتار . والمعنى أنه ينبغي أن يعتقد إحياء الوالدين والإيمان
به ﷺ وأن يسلم ذلك فحينئذ لا تنافي بين ما قاله الحافظ المذكور هنا ولا بين
ما تقدم من قوله بصحة الحديث فكيف وقد نقل القول عنه بصحة الحديث
المحقق صاحب رد المحتار وأقره تأمل .

وإذ قد ثبت ما ذكرناه وتحقق فما يمتنع إيمانها بعد إحيائهما ويكون ذلك
زيادة في الكرامة والفضيلة لينال شرف الصحبة ويكونا من أشرف أمته صلى الله
تعالى عليه وسلم .

وهذا من أعظم المزايا فقد انتفعا نفعاً عظيماً بهذه الحياة ويشهد لما نحن فيه
أشباه ونظائر زيادة على ما سبق .

منها ما أخرجه الفقيه الحافظ الثقة الثبت الحنفي العلامة الطحطاوي ورواه
عنه القرطبي أن الله رد الشمس على نبيه ﷺ بعد غروبها حتى صلى علي كرم الله
وجهه العصر . وقال إنه حديث ثابت . انتهى .

والحديث الثابت كما في علم المصطلح صادق بالحسن والصحيح كما نص عليه السيوطي وأشار إليه شيخنا في المنظومة وحاشيتها وهذا الحديث أخرجه أيضاً ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن .

قال الزرقاني ومن ثمه صححه الطحطاوي والحافظ ابن حجر والقاضي عياض ومغلطاي والقطب الحضرمي والسيوطي وغيرهم وردوا على من زعم الوضع على أن طرقة يتعذر معها الحكم بالضعف فضلاً عن الوضع كما نص عليه العلامة الشامي . انتهى .

قال العلامة القسطلاني فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت بل استمر لما ردها الله عليه ولذا حكم بكون الصلاة أداء وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب فكذلك يكون إحياء أبي النبي ﷺ نافعاً لإيمانها به وتصديقهما له . انتهى .

قال الزرقاني : وبهذا يرد على من زعم عدم الانتفاع بهذه الحياة . انتهى . ومنها ما نص عليه العلامة ابن حجر في الزواج أن الله تعالى نفع قوم يونس عليه السلام بإيمانهم عند معاينة العذاب كرامة وخصوية لنبيهم .

ألا ترى أن نبينا ﷺ قد أكرمه الله تعالى بحياة أبويه حتى آمنّا به كما في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما فانتفعا بالإيمان بعد الموت إكراماً لنبيه ﷺ نقله عنه المحقق في رد المحتار وأقره .

ومنها أن الطاعة تنفع أهل الفترة يوم القيامة مع أنها إنما وقعت في حياة سبقتها بموت بعده نشر .

ولذا قال السيوطي إذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست دار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة الأحاديث الصحيحة فلأن ينفعهم بالإحياء عن الموت من باب الأولى . انتهى .

فهذه أدلة وشواهد قاضية بأن العمل الصالح ينفع مع حياة قد سبقها الموت فمن أنكر هذا فكأنما أنكر وجود الشمس ليس دونها غبار .

ولذا قال العارف الزرقاني وقد حصل للمطالب بدليل الخصوصية أدلة كالنهار .

ومنها ما ذكره العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني معز والبعض المحققين أن أهل الأعراف يسجدون يوم القيامة فيرجح ميزانهم بتلك السجدة فيدخلون الجنة فلولا أن هذه السجدة تنفعهم ويسعدون بها لم يدخلوا الجنة مع أنها ما وقعت إلا بعد الموت . وإن إحياء الأبوين الكريمين يجوز أن يكون مثل إحياء الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم إلى تكملة آجالهم .

وعلى ذلك فلم يكن إيمان الأبوين بالنبي ﷺ إلا في زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل أن يموتا . انتهى . وهو من الحسن بمكان .

ومنها ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك .

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « أن أصحاب الكهف أعوان المهدي فقد اعتد بما يفعله أهل الكهف بعد إحيائهم من الموت ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي ﷺ عمراً ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا به فيها فيعتد به ويكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان به صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة ما أكرم الله به نبيه وحبيبه ﷺ كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة .

قال الزرقاني معزياً للقرطبي وهو في غاية النفاسة والحسن وقد ظفرت بما هو أصح دليلاً وأعدل شاهداً ما حرره في الدرر المنيقة والمقامة السندسية من

أن حديث الإحياء قد وافق القاعدة التي أجمع عليها الأئمة أنه لم يؤت نبي معجزة أو خصيصة إلا وأوتي نبينا ﷺ مثلها .

وقد أحى الله تعالى لعيسى عليه السلام العازر تصديقاً له بعد موته ودفنه بثلاثة أيام كما في شرح المواهب .

قال السيوطي رحمه الله تعالى فلا بد أن يكون لنبينا ﷺ مثلها ولم يرد من هذا النوع إلا هذه القصة وهي إحياء الأبوين من قبريهما بعد حين . انتهى .
ثم إنما يتم هذا الحصر بقيدين :

أحدهما : الإحياء من القبر والآخر كونه بعد مدة طويلة في الجملة . وإلى هذا أشار بقوله بعد حين . وهذا هو الأشبه بقصة العازر فلا يرد علينا قصة ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء عليه الصلاة والسلام إلى قبرها وناداهما فقالت لبيك وسعديك كما مر آنفاً لأن فيها التصريح بالإحياء من القبر فقط وغيره مسكوت عنه .

فمن الجائز أن يكون ذلك ساعة دفنها .

قال السيوطي رحمه الله تعالى ومن الأصول المحررة والقواعد المقررة أن من جملة ما يعتضد به الحديث الضعيف موافقته للقواعد . انتهى .

وأما قول بعض العلماء أنه لم ير أحد أصرح بأن الإيمان ينفع بعد الموت فإن ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل كما في المواهب فمردود بما تقدم ذكره مفصلاً من القرآن العظيم ونصوص الأئمة الناطقة بأن الإيمان ينفع بعد الموت نبل وفي القيامة كما صرحت بها الأحاديث الصحيحة ويلزمه ما ذكره في شرح المواهب أما أن يقول بوضع الحديث فيرد عليه بأن جماهير الحفاظ قالوا ليس بموضوع وهو الحق الأبلج الذي أسفر عنه النظر في أسانيده أو بضعفه ولا يعمل به فيرد بأن طريقة المحدثين العمل به لأنه في منقبة . انتهى .

وقد سبق ما يعضده من جميع أطرافه لاسيما القاعدة المتفق عليها وأما أدلة

الخصوصية فقد ظهرت أشعتها كالشمس مما مر آنفاً على أن الحافظ بن حجر رحمها الله تعالى صرح في فتح الباري بأنه لا يلزم التنصيص على الخصوصية . انتهى .

ذكره الزرقاني وأما من احتج على رد حديث الإحياء بقرآن أو إجماع فاحتجاجة في غير محله لأن حديث الإحياء إنما ثبت على سبيل الخصوصية . ولذا قال الزرقاني فلا يرد حديث أحياهما قرآن ولا إجماع لأن محلها في غير الخصوصية . انتهى .

وأما جواز وقوعه عقلاً فمما لا يليق أن يختلف فيه بين الموحدين . وقد مر عن القرطبي وغيره : ومهما جاز عقلاً أمكن حصوله لاسيما بالنسبة إلى القدرة الباهرة فإن العادة وخرقها بالنظر إليها على حد سواء .

وقال الحافظ ابن سيد الناس معزواً لبعض العلماء ما حاصله أن النبي ﷺ لم يزل راقياً في المقامات السننية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه فمن القريب أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان به متأخراً ذكره في مسالك الحنفاء وأقره .

أقول : الذي ينبغي الجزم به تأخر الإحياء لصريح حديث عائشة رضي الله عنها أنه كان في حجة الوداع . وقد صرح به المحقق في رد المحتار وقد ورد ما أسداه ﷺ من الكرامة العظيمة حين وفدت عليه السيدة حليلة مكافأة لها وجزاء الله تعالى لها أعظم كرامة لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي امه رضاعاً فلأن يكون هذا للأم نسباً أولى وأحق وهو اللائق بكرم الله تعالى وبمنزلة حبيبه ﷺ عنده جل وعلا وقد نظم بعض العلماء في ذلك شعراً فقال :

هذا جزاء الأم عن إرضاعه لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه عن ذاك آمنة يد ونعيم

ويكون أحياءها الإله وآمنت بمحمد فحديثها معلوم
وإنما خص الأم بالذكر لمناسبة ذكر السيدة حليلة رضي الله عنها وإلا
فكذلك الأب الكريم كما لا يخفى وليت شعري أن من لم يكرم الله لأجله أباه
وأمه فمن يكرمه لأجله من هذه الأمة . ومن أعظم الإكرام وجزيل الإنعام
أحياءهما لتقر بذلك عين سيد الأنام وليفوزا بشرف صحبته عليه الصلاة
والسلام .

هذا ومما يرجح القول بصحة حديث الإحياء أن أولياء الله تعالى العارفين به
اتفقوا على الصحة لا محالة .

وما ذكره العلامة المحقق الثقة الثبت السيد الطحطاوي رحمه الله تعالى في
حاشية الدر المختار وأثبتته فيها وارتنضاه حيث قال : وحكى أن بعض الفضلاء
مكث متفكراً ليلة في أبيه ﷺ واختلاف العلماء في حديث إحيائهما به فمن
مضعف ومن مصحح ويمكن الجمع بين الأقاويل أو لا فاستهوته الفكرة حتى
مال إلى السراج فأحرقه فلما كانت صبيحة تلك الليلة أتاه رجل من الجند يسأله
أن يضيفه فتوجه إلى بيته فمر في أثناء الطريق على رجل خضري قد جلس بباب
خزانة تحت حانوت بها موازينه وباقي آلات البيع فقام هذا الرجل حتى أخذ
بعنان دابة الشيخ وقال له شعراً :

آمنت أن أبا النبي وأمه أحياءهما الحي القدير الباري
حتى لقد شهدا له برسالة صدق فتلك كرامة المختار
وبه الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

ثم قال : خذها إليكم أيها الشيخ ولا تسهر ولا تتعب نفسك متفكراً حتى
يحرقك السراج ولكن امض إلى المحل الي أنت قاصده لتأكل منه لقمة حراماً
فبهت الشيخ لذلك ثم طلب الرجل فلم يجده فاستخبر عنه جيرانه من أهل
السوق فلم يعرفه منهم أحد وأخبروا بأنه لا عهد لهم برجل يجلس بهذا المحل

أصلاً ثم إن الشيخ رجع إلى منزله ولم يمض لدار الجندي لما سمعه من مقالة هذا الأستاذ . انتهى بحروفه .

فائدة شريفة :

حدثني شيخ الصوفية العارف بالله تعالى وإليه داعي أستاذنا وبركتنا المدني سيدي السيد أحمد الرفاعي قال حدثني الولي العارف الشيخ منصور البديري المدني عن شيخه الولي العارف السيد محسن مقيبيل المدني أن شيخه الولي الكبير السيد مشيخ باعبود المدني الشهير كان يأمره إذا وقف تجاه القبر الشريف لزيارة المصطفى ﷺ أن يصلي عليه مائة مرة بصيغة مخصوصة وهي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى والديه وعلى آله وصحبه وسلم . قال قال الشيخ منصور وكان قد أمرني شيخني السيد محسن بذلك فكنت كلما وقفت في ذلك المقام الرفيع لزيارة السيد الشفيع أصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصيغة العدد المذكور فبينما أنا ذات يوم أتلوها في ذلك المقام العالي إذا قائل من الحجرة الشريفة يقول ارفعوا منصور . وإلى هنا قد تم بعون الله المرام وحسن إن شاء الله تعالى الابتداء والاختتام . قال العلامة الزرقاني نفعا الله تعالى به في شرح المواهب بعد تمام الكلام على ما يتعلق بالأبوين الكريمين . هذا وقد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين فإذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة إما لأنهما أحييا حتى آمنا وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها وأما لأنهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي . انتهى .

وأقول : قد أوضحنا لك أيها المؤمن حكم الأصول الكرام فإذا سئلت عنهم فقل هم ناجون في الجنة إما لأنهم من أهل الفترة الناجين وإما لأنهم كانوا من أشرف القوم الموحدين .

وأما إن سئلت عن الوالدين الكريمين بالخصوص فقل هما ناجيان في الجنة من طرق متعددة فضلاً من الله ومنه على حسب ما وقفنا عليه من نصوص الأئمة الذين كل فرد منهم قدوة للأمة من كل المعى قمقام ، ولو ذعئ همام ، وقد مرت تلك النصوص موضحة مع غاية البيان ، وقرت منقحة مع نهاية التبيان .

ولم نر من العلماء من خالف أولئك الجهابذة إلا ما يشم من نفس البعض . وقد اعتنى برده فحول قد ملثوا الأرض علماً طولها والعرض .

الطريق الأول : كونهما من أهل الفترة الناجين .

الثاني : كونهما من أشرف من ثبت توحيده باستدلال عقله بسبب نور إلهي وجده في قلبه .

الثالث : كونهما من أكرم من تشرع بشريعة أبيه إبراهيم عليه السلام .

الرابع : دخولهما بالأولى في عموم سؤاله عليه الصلاة والسلام أبناء العشرين .

الخامس : دخولهما بالأولى في عموم سؤاله عليه الصلاة والسلام أن لا يدخل النار أحد من أهل الفترة فأعطاه الله ذلك ، ودخولهما أيضاً بالأولى في عموم حديث « يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة باب الجنة ما بدأت إلا بكم » .

السادس : حديث « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية .

السابع : حديث « ما سألتهم ربي فيعطيني فيهما وإنني لقائم يومئذ المقام المحمود .

الثامن : أن الله تعالى أحياهما حتى آمنا بحبيبه صلى الله عليه وسلم كرامة له .

فهذه طرق ثمانية كل واحد منها موصل بفضل الله تعالى لدخول الجنة من أي أبوابها الثمانية .

وممن نال هذه المنزلة الشريفة الصديق رضي الله عنه كما ورد به الحديث الشريف .

وذكر في المسالك أن الإمام الأشعري نفعنا الله به قال وأبو بكر ما زال بعين الرضى منه فاختلف الناس في مراده بذلك .

والصواب ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أن الصديق رضي الله عنه لم يثبت عنه قبل البعثة سوى التوحيد كما بعد البعثة فلذا خصه الإمام بالذكر دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم . وكذلك تقول في الأبوين الكريمين أنهما لم يثبت عنهما قبل البعثة سوى التوحيد مع أن الصديق رضي الله عنه إنما حصلت له هذه المزية ببركة سيدنا محمد ﷺ .

وكذا زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى فإنهما كانا صديقين له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكانا يودانه كثيراً فأبواه الكريمان أولى بعود بركته صلى الله عليه وسلم عليهما . قلت : وهو في غاية الحسن .

الخاتمة :

نسأل الله تعالى حسنها في مسائل فرائد . منتظمة في سلك أربع قلائد .

القلادة الأولى : في بيان أول مخلوق ظهر في الوجود : اعلم أنه لما تعلق إرادة الحق بإيجاد خلقه من فضله وكرمه كما سبق في سابق إرادته وعلمه بمقتضى حديث « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف أبرز النور المحمدي صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف ثم اقتبس منه العوالم كلها كبيرها وصغيرها علوها وسفلها فكان صلى الله عليه وسلم هو درة الوجود وينبوع كل وجود وأبا للأرواح وآخر كل كامل في الأجسام والأشباح » قال عليه الصلاة والسلام :

« أول ما خلق الله نوري » وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر أن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا أنسي . فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله . انتهى .

ذكره القسطلاني في المواهب لکن في شرح الصلاة المشيشية لابن زكري رحمه الله تعالى تقديم العرش على القلم ولم يذكر كل منهما الرابع من هذا الجزء الأخير فليراجع الحديث .

وفيه من حديث عمر رضي الله تعالى عنه يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا أنا الذي خلق الله عز وجل أول كل شيء نوري فسجد لله فبقي في سجوده سبعمئة عام فأول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر يا عمر أتدري من أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الأبصار من نوري والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر . انتهى .
فقد تضمن هذان الحديثان مزايا مختصة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

منها أنه صلى الله عليه وسلم نور وأنه من نور الله وأن نوره أول حادث ظهر في الوجود والسبقية والتقديم يفيد أن كمال الاعتناء بشأن السابق والمقدم مع أنه أول ساجد لله وأن السجود أول شيء صدر منه ومن ثمة خرج من بطن أمه ساجداً لله تعالى . ومنها أن العرش العظيم خلق من نوره وأن الكرسي خلق من نوره إلى غير ذلك مما لا يقدر قدره ولا يعلم تفصيله إلا خالقه تبارك وتعالى .

قال العلامة الأمير الحقيقة المحمدية جوهر من الجواهر لا يعلمها غير خالقها ويدل عليه قوله فجعل ذلك النور يدور فهو صريح في جوهريته ولا يعلم كيفية تشكله إلا الله تعالى على الصحيح وقيل إنه متشكل على صورته صلى الله عليه وسلم والأدب التوقف . انتهى .

قلت : وأما كون تلك الحقيقة لا يعلمها غير خالقها فمما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام للصدیق رضي الله تعالى عنه يا أبا بكر والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي وقول أويس رضي الله تعالى عنه لأصحاب رسول الله ﷺ ما رأيتم من رسول الله إلا ظله فقالوا ولا ابن أبي قحافة فقال ولا ابن أبي قحافة . انتهى من شرح الصلاة .

ولما ذكر هذا عند شيخ المشايخ أستاذنا الشيخ أبي الحسن الشاذلي نفعتنا الله به قال صدق أويس حقيقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سر مكنون لا يطلع عليه إلا الله تعالى .

وقال الإمام الخروبي حقيقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سر لطيف من أسرار الحق تعالى لا يطلع عليه سوى الرب جل جلاله ولا يكشفه أحد غيره تعالى لا نبي مرسل ولا ملك مقرب فتلك الحقيقة من الأسرار التي انفرد بعلمها تعالى فلذا لم يدرك المؤمنون منه ﷺ إلا ظاهر صورته الشريفة وهو الذي عبر عنه أويس القرني بالظل أما الذي أدركه الخواص من خفي سره فإنما هو على قدر طاقتهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو نعمة الله لهم ليعرفوا قدره

ويعظموا أمره وما خفي عليهم من أمره فهو رحمة من الله بهم إذ لو ظهر لهم مع عجزهم عن القيام بحقه لكان فتنة عليهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر . انتهى .

وكما أنه لم يدرك أحد حقيقته صلى الله عليه وسلم غير ربه تعالى كذلك لم يدرك أحد كنه عقله كيف وعقول جميع الناس بالنسبة لعقله حبة رمل من بين رمال الدنيا .

قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدأ الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا . انتهى من شرح الصلاة .

وقال في شرح المواهب الحديقة المحمدية هي الذات مع النعت الأول كما في التوقيف .

وفي لطائف الكاشي يشيرون بالحقيقة المحمدية إلى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها والسارية بكليتها في كلها سريان الكلي في جزئياته إلى أن قال وبهذا الاعتبار سمي المصطفى بنور الأنوار وبأبي الأرواح ثم إنه آخر كل كامل إذ لا يخلق الله تعالى بعده مثله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

قال العلامة الأمير فهو أول الأوائل وأصل كل حادث ولذا كان آدم الأكبر . وقال له آدم عليه السلام ليلة المعراج مرحباً بابن صورتني وأب معناني وإلى ذلك أشار ابن الفارض نفعا الله به ويقول :
وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

فهذه مزية عظمى تقتضي التقدم في هذا الوجود لكن لما كان في التأخر مزايا آخر .

منها عدم نسخ شريعته . وقد سبق في علم الله أنه نبي آخر الزمان كان

وجوده الجسماني متأخراً ليكون كفصل القضاء وليزداد ترقيه من ابتداء خلقه إلى ما لا نهاية له بشهادة قوله تعالى : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ❶ وليتجلى في أطواره الشريفة باسميه تعالى الظاهر والباطن فيزداد شرفه ظاهراً وباطناً .

شعر :

تخيــــــــرك الله مــــــــن آدم فما زلت منحدرأ ترتقي
وبالجملة فالحضرة المحمدية أول العالم فيما لا يزال وقبلها حضرة الأزل
المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه .

وروي : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق في عرفوني .
والمراد أردت تنجيز ما سبق في علمي حصوله وتحقيق تجلي صفاتي
فخلقت الخلق ليظهر لهم سر القدرة والإرادة والمغفرة والانتقام والحلم
والرحمة إلى غير ذلك من صفاته وأسمائه تبارك وتعالى . وقوله في عرفوني
أي بإظهار آثار تلك الصفات والأسماء عرفوا أنه لا سبيل إلى معرفة كنه ذاتي
وقد أخذ بعض أرباب الإشارات من هذا الحديث أن الحضرة المحمدية هي
أول عارف بربه كما أنها أول الخلق وذلك أن عدد في من قوله في عرفوني هو
عدد محمد فكأنه قيل فبمحمد عرفوني وهذا معنى لطيف . انتهى بقليل زيادة .
قلت وفي إشعار بأنه صلى الله عليه وسلم مرآة تجلى أسرار الذات وأنوار
الأسماء والصفات وأن تلك الحضرة هي الفذلكة العظمى لكل سالك والواسطة
الكبرى في كل مطلوب كما قال سيدي أبو المواهب فلا يصل واصل إلا إلى
حضرته المانعة ولا يهتدي حائر إلا بأنواره اللامعة وأما الذات العلية البحت فقد
انعقد الإجماع على أنها لا تدرك بحال ولذا قيل :
وليست تنال الذات من غير مظهر ولو هلك الإنسان من شدة الحرص
فما عرف الله من عرفه إلا من بابه وما وصل أحد إلى حظه من أمر ديني أو
دنيوي إلى بواسطة عالي جنبه كما قيل :

فأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل
لكن كل على حسب قابليته واستعداده ومن الخطأ البين أن يتصور خلاف
ذلك .

ولتكلم على بعض ما يتعلق بحديث جابر وعمر رضي الله عنهما فأقول
قوله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره هي قبلية
حقيقية كما مر والإضافة الأولى بيانية والثانية لتشريف جابر وقوله من نوره
ليست من للتبعض بل هي للابتداء المعنوي فاندفع الإيراد بحذافيره فلا يقال
يلزم عليه أن الحادث بعض القديم والمراد بالنور ذات الله تعالى والإضافة بيانية
كذا قالوا وفي النفس منه شيء .

وأقول : الذي ينبغي التعويل عليه في هذا وأمثاله أنه من المتشابه فنؤمن به
ونفوض حقيقة معرفته إلى الله تبارك وتعالى لأن الله تعالى أنبته لنفسه في غير
موضع قال جل ثناؤه ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية . وفي الحديث
الشريف : « أن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل
الجنة » . انتهى .

ومنها النور وما ذكرناه هي طريقة السلف في المتشابه كما روي عن علي
كرم الله وجهه حين سئل عن الاستواء فأجاب الاستواء معلوم والكيف مجهول
والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وتبعه أعيان أئمة الأمة كأبي حنيفة ومالك
رضي الله عنهما وعن سائر الأئمة . ومعنى الحديث الشريف أن الله تعالى خلق
سيدنا محمداً ﷺ مبتدأ من غير مادة تكون أصلاً له فكان وجوده بلا توسط شيء
بخلاف وجود غيره فإنه مستمد منه وهو أصله فكان عليه الصلاة والسلام أصل
الأصول وأول الأوائل .

قلت : وهذا غاية ما يسعنا هنا في هذه المسألة من الكلام .
وأما قوله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور

أجزاء فللعلماء فيه مجال فذهب بعضهم إلى أن النور المحمدي جزءاً أجزاء متفرقة فخلق العالم كله من تلك الأجزاء . وإنما نسب إليه صلى الله عليه وسلم لأن خلق الجميع إنما كان لأجله أو لأن الجزء الأخير ينتهي لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا ينتقل عنه وذهب آخرون إلى أنه ليس هناك تقسيم ولا تجزئة . وإنما المراد زيد فيه ثم أخذ هذا الزائد فخلق منه ما خلق ثم زيد فيه وأخذ وهكذا ولم يقسم النور الأصلي ولا يخفى ما في هذين الوجهين .

وذهب بعض المحققين كالعلامة الأمير إلى أن الحقائق كلها أشرقت من النور المحمدي فظهر ذلك النور مظهر الأقسام فحصل في الوجود الحادث نوران مفيض ومفاض عليه وليس هناك إلا نور واحد . ألا ترى أن المصباح الواحد يقتبس منه أنوار كثيرة وهو في نفسه باق على ما هو عليه واحد وقد جزم بهذا الجواب في شرح الصلاة حيث قال وهذه القسمة لا توجب قسمة الماهية المحمدية كما لا يوجب الاقتباس من الأنوار قسمتها ولا النقص منها . انتهى .

وقيد صلى الله عليه وسلم العقل بالذي في رؤوس الخلائق للاحتراز عن العقل المطاق الوارد في الحديث فإن المراد منه النور المحمدي . كما صرح به سيدي عبد الوهاب في اليواقيت حيث قال فإن قلت : قد ورد أول ما خلق الله نوري وفي رواية أول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما فالجواب : أن معناه واحد لأن حقيقة محمد ﷺ تارة يعبر عنها بالنور المحمدي وتارة يعبر عنها بالعقل . انتهى .

فإن قلت قد علمنا أن النور المحمدي أول كل شيء محدث فما تقول في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء » رواه أحمد والترمذي وصححه ورواه أيضاً أبو داود عن عبادة وزاد حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إنني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عني أنبئني عن أصل كل شيء قال صلى الله عليه وسلم : « كل شيء خلق من الماء » رواه أحمد والحاكم وصححاه .

وفي حديث السدي أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء الكل من مرويات المواهب وشرحها .

أقول : ذكر العلامة القسطلاني جوابين : أحدهما أن الأولية في كل بالإضافة إلى جنسه فأول ما خلق الله من الأنوار نور محمد صلى الله عليه وسلم وكذا يقال في باقيه . الثاني : وهو اللائق بالقبول أن أولية القلم بالنسبة ما عدى النور المحمدي وكذا الماء والعرش . روى أحمد والترمذي وصححه مرفوعاً أن الماء خلق قبل العرش . وقد اختلف هل القلم قبل العرش الأصح وهو مذهب الجمهور أن القلم خلق بعد العرش لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال قال رسول الله ﷺ أن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش وهو عند أول خلق القلم كما مر في حديث عبادة بن الصامت . وصرح في شرح المواهب معزواً للمشكاة أن الكرسي يتقدم على اللوح والقلم . انتهى .

بقي الكلام بين اللوح والقلم أيهما متقدم في الخلق على الآخر للبراجع . فنلخص مما ذكرناه أو أول مخلوق على الإطلاق هو النور المحمدي ثم الماء ثم العرش ثم الكرسي ثم القلم والله تعالى بالحقيقة أعلم .

تنبيه :

قد تقرر أن النور المحمدي جوهر لا عرض وكل جوهر لا بد له من حيز وزمان يكون فيه ينتج أن النور المحمدي لا بد له من حيز وزمان يكون فيه .

ومن المعلوم أن الحيز سابق في الوجود على المتحيز .

وقد ثبت أن أوليته حقيقة لم يتقدم عليه شيء من الحوادث . فمال الجواب عن هذا الإشكال .

أقول : إنما يرد هذا الإشكال إن فسرنا الزمان والمكان بأمرين : وجوديين كما هو معلوم في محله . وأما إذا مشينا في تفسير الزمان على ما اختاره المحقق أبو البقاء من أنه عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات وعلى مذهب المتكلمين في تفسير المكان من أنه بعد وامتداد مفروض موهوم يشغله الجسم توهماً وولاه لم يكن هناك إلا الخلاء فيكونان حينئذٍ من باب الإعدام والسلوب ولا فرق في هذا الامتداد والبعد الموهوم بين أن يكون سابقاً على حصول الشيء فيه وبين أن يكون مقارناً له . انتهى باختصار من حاشية شيخنا المسماة بأساس المرام في علم الحكمة والكلام . فقد انتفى أن يكون كل من الزمان والمكان من الموجودات الخارجية وهو المطلوب فحينئذٍ لا يضر فرض سابقيتهما وتوهم تقدمهما في مسألتنا هذه فقد انحل الإشكال وطاح السؤال .

ويجوز أن الله تعالى لما أوجد النور المحمدي لم يكن هناك زمان ولا مكان لا حقيقي ولا اعتباري أصلاً على سبيل خرق العادة والله تعالى على كل شيء قدير .

وما قرناه من الإيراد والجواب يجري بعينه في مسألة العرش العظيم وفي الماء من كل شيء محدث كان قبل حدوث الفلك الأعظم والله تعالى أعلم . هذا ولما أبرز الله تعالى ذلك النور وجعله يدور ما شاء الله تعالى أن يدور هياه لزيادة القرب والوصال فأدناه بين يديه بلا كيف دنو يجل عن المثال .

روى الحافظ ابن القطان عن ابن مرزوق عن سيدنا علي زين العابدين عن أبيه سيدنا الحسين عن جده سيدنا علي رضي الله عنهم ونفعنا بهم أن النبي ﷺ قال : « كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام » ذكره في

المواهب فهذه مكانة حصلت بعد أن لم تكن وإشار إليها صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ذكره الزرقاني .

قلت : ويجوز أن يكون هذا معراجاً لروحه الشريفة كما أنها نبئت وآدم بين الروح والجسد تأمل .

قال العلامة الأمير قوله : كنت نوراً بين يدي ربي إخبار منه عن بعض مشاهد شريفة مختصة بالحقيقة المحمدية التي يعلمها رب البرية .

وقال سيدي محمد الزرقاني نفعا الله به في شرح المواهب هذا الحديث لا ينافي ما مر من أن نوره مخلوق قبل الأشياء كلها وأن الله قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة لأنه بعد ما خلق ذلك النور جعل يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب في اللوح ثم جسم على شكل أخضر من ذلك النور . ولأن في التعبير بين اليدين إشارة لزيادة القرب فالمقدر بهذه المدة مرتبة أظهرت لم تكن قبل أشار إلى مرتبة ثالثة بقوله : وروى محمد بن عمرو العدني شيخ مسلم في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً كانت نوراً أي المسعدة بالإسلام كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه .

قال : قال ابن القطان يجتمع من هذا مع ما في حديث علي كرم الله وجهه أن النور المحمدي جسم قبل خلق آدم باثني عشر ألف عام . ثم زيد فيه سائر قريش وانطلق بالتسبيح فهذا طور آخر حصل للحقيقة المحمدية بعد أن لم يكن . انتهى .

أقول : . ويجوز أنه صلى الله عليه وسلم عنى بقريش روحه الشريفة إما لأنه هو الدرة المستخرجة من تلك القبيلة والمقصود منها فعبر بالكل وأراد الجزء مجازاً أو لأنه أصلها في الحقيقة وأبوها ويشيده أن لفظ قريش كان اسماً على رجل واحد إما فهر وإما النضر .

قال العراقي : أما قريش فالأصح فهر . بجماعها والأكثرون النضر . فكما أن أحد هذين الرجلين أب لتلك القبيلة من حيث الجسمانية فالنبي ﷺ أب لها من حيث الروحانية .

ومما يقوي أن المراد من لفظ قريش في الحديث نفسه الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام في تمام الحديث ثم ألقى ذلك النور في صلب آدم ثم لم يزل ينقله من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة وقد مر الحديث أول الكتاب . وبقي مرتبتان مشار إلى إحداهما بالسجود سبعمئة عام إثر خلق النور والأخرى مشار إليها بقوله فجعل ذلك النور يدور فافهم والله الحمد على ما ألهم .

القلادة الثانية : في بيان أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان نبياً قبل تمام خلق آدم عليه السلام لا يخفى أن مما تضافرت به الأحاديث الصحيحة أن نبينا ﷺ هو أول الأنبياء روحاً كما أفصحت به الأخبار الفصيحة وأنه لبس خلعة النبوة وآدم بين الروح والجسد فهذه مكانة عظمى لم ينلها من سائر الأنبياء أحد .

روى الإمام أحمد في مسنده^(١) من طريق بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر وهو الضبي ومعنى الفجر الكرم رضي الله عنه قال قلت يارسول الله متى كنت نبياً قال : وآدم بين الروح والجسد . ورواه البخاري في التاريخ وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم . وقال الحافظ بن رجب في اللطائف بعضهم يرويه متى كتبت نبياً وكذا رواه إسماعيل بن نجيد بإسناده إلى ميسرة قال قلت يارسول الله متى كتبت نبياً قال كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد . قال الحافظ بن رجب معناه متى كتبت نبوتك بمعنى ثبتت وحصلت من الكتابة لا من الكون .

(١) الإمام أحمد ورواه البخاري في التاريخ وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد . رواه الترمذي وقال حديث حسن . انتهى من المواهب وشرحها .

قلت : فهذا الحديث مفسر لما قبله فتحمل الكتابة على الوجوب كما قال عز من قائل : ﴿ الصَّيَّارُ ﴾ .

وروى أبو نعيم عن الصنابجي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يارسول الله متى جعلت نبياً قال : وآدم بين الروح والجسد . ذكره العلامة الزرقاني .

فإن قلت حقيقة آدم هو الهيكل المخلوق من لطین المنفوخ فيه الروح فمجموعها هو آدم عليه السلام . فما معنى البينة هنا .

قلت أجيب بأنه مجاز عما قبل تمام خلقه قريباً منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض أي في حالة تقرب منهما .

وقال في النسيم الظاهر أنه ظرف زمان بمعنى أن نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه الله في علم الأرواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والإقرار بها . انتهى باختصار .

فإن قلت أن النبوة أثر قائم بإنسان موحى إليه وهذا إنما يتم بشرطين أحدهما كون الموحى إليه موجوداً في عالم الملك . والثاني بلوغه أربعين سنة مطلقاً في جميع الأنبياء حتى في يحيى وعيسى عليهما السلام على الصحيح فكيف اتصافه صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل ذلك .

قلت أجاب الحافظ العلامة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى بما ملخصه أن المحل الذي قامت به النبوة هو روحه الشريفة وأما كونه موجوداً في عالم الملك وكونه بعد أربعين سنة فذلك في النبوة المتعلقة بالجسد مع ارتباط الروح

به إفافضة النبوة على روجه صل الله عليه وسلم ووصفها بها أمر حقيقي وإليه الإشارة بقوله ﷺ : كنت نبياً . الحديث .

وقد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي ثم إن تلك الحقائق قد يمن الله تعالى على كل حقيقة منها بما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي ﷺ آتاها الله وصف النبوة قبل تمام خلق آدم وأفاضه عليها من ذلك الوقت فحقيقته سابقة على خلق آدم وحصول النبوة قبل تمام خلقه فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر الله عنه بذلك ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فهو نبي من ذلك الوقت وإن تأخر جسمه الشريف المتصف بها . وقد كان عليه الصلاة والسلام من ذلك الزمن متصفاً بالصفات العلية المفاضة عليه من الحضرة الإلهية إلى أن ظهر جسمه الشريف ثم بعد وأمر بالتبليغ عند الأربعين فهذا هو المتأخر .

والحاصل أن كل ما كان له صل الله عليه وسلم من جهة ربه ومن جهة تاهل ذاته الشريفة معجلاً لا يمكن تأخره .

وقد علم مما قررناه أن من فسر قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبياً وأمثاله بعلم الله تعالى أنه سيصير نبياً لم يصل إلى ما قلناه لأن علم الله محيط بجميع الأشياء ووصف النبي ﷺ بالنبوة من ذلك الوقت .

ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له لا محالة من تلك المدة ولو ان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم تكن له ﷺ خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي ﷺ ولأجلها أخبر بهذا الخبر إعلالاً لأتمته حتى يعرفوا قدره عند الله تعالى . انتهى .

وفي اللطائف وهذه الصفة التي هي النبوة الثابتة مرتبة ثالثة وهي انتقاله

صل الله عليه وسلم من مرتبة العلم والكتابة إلى مرتبة الوجود العيني الخارجي .

قال الزرقاني : قال شيخنا فأفاد أن نبوته مقدرة في العلم أولاً ثم تعلقت بها الكتابة ثم تعلق بها الإبراز والإيجاد للملائكة في الوجود العيني وقضية ما مر من إبراز حقيقته قبل سائر الموجودات أن المراتب أربع : تعلق العلم بأنه يصير نبياً ثم خلق نوره ثم كتبه في أم الكتاب ثم إظهاره نبياً للملائكة . انتهى .

ويقول الضعيف قد حررنا في القلادة الأولى أن المراتب المختصة به أربع : الأولى : إبراز نوره قبل سائر المحدثات المشار إليها بحديث جابر رضي الله عنه . والثانية : سجوده بعد خلق نوره مقدار سبعمائة عام وهي المشار إليه بحديث عمر رضي الله عنه . الثالثة : دورانه بالقدرة الإلهية حيث شاء الله . الرابعة : المشار إليها بحديث علي كرم الله وجهه إنه كان نوراً بين يدي ربه وقد سبق ذلك كله . الخامسة : المشار إليها بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن قریشاً كانت نوراً . الحديث .

وحررنا هناك أن المراد من قریش نفسه الشريفة وأيدناه بما لا مزيد عليه فهذه مراتب خاصة به ﷺ . السادسة : استبناؤه في الوجود العيني الخارجي ليعلم أهل الملكوت شرفه وقدره وهذه أيضاً خاصة به ﷺ . وأما ما تعلق العلم بأنه سيصير نبياً وكتبه في أم الكتاب فهذا غير مختص به كما لا يخفى بخلاف اللاتي ذكرناها فإنها مختصة به ﷺ لا يشاركه فيها غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال الإمام سيدي الشيخ محي الدين ابن العربي نفعا الله به : لم يبلغنا أن أحداً أعطي النبوة وآدم بين الماء والطين غير سيدنا محمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام إنما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة ذكره في اليواقيت وأقره .

تنبيه :

قد أهمل أكثر العلماء تعريف النبوة والرسالة وإنما اعتنوا بتعريف النبي والرسول وقد عرفها إمام الحرمين رحمه الله تعالى بأنها صفة كلامية هي قول الله تعالى هو رسولي وتصديقه بالأمر الخارق . انتهى .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا به : النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع : أحدها : أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله تعالى وبصفاته وملائكته والدار الآخرة علماً مخالفاً لعلم غيره بكثرة المعلومات وزيادة الكشف والتحقيق . ثانيها : أن له في نفسه صفة بها تتم الأفعال الخارقة للعادة كما أن لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بإرادتنا وهي القدرة . ثالثها : أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى . رابعها : أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب . انتهى الكل من شرح المواهب .

وفيه عن الشعبي قال رجل يارسول الله متى استنبتت قال : وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق .

فإن قلت : إن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه أكثر الأحاديث . وقال مجاهد وغيره في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الآية . من أن المراد إخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة له بالسجود . قال في اللطائف وهذا يدل بظاهره على أنه كان بعد نفخ الروح .

والذي تقرر هنا أنه استخراج ونبيء وأخذ منه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم .

قلت هذه خصوصية للمصطفى ﷺ لأنه هو المقصود من خلق النوع

الإنساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والأحاديث السابقة كلها صريحة في ذلك . انتهى وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

وفيه أن الله تعالى لما أكمل خلق نبيه بإفاضة الكمالات والنبوة على نوره أمره ما أنطقهم الله به فقالوا ياربنا من غشنا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله إن آمتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ (١) إلى قوله ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٢) والأخذ على النبيين وأمهم واكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على التابع .

ويرشحه ما رواه ابن جرير وابن كثير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه يأخذ العهد بذلك على قومه . والمراد بمن بعده إلى عيسى عليه السلام إن قلنا بالمشهور أنه ليس بينه وبين المصطفى ﷺ نبي أو إلى خالد بن سنان على القول بأنه بعد عيسى عليه السلام .

وما روينا عن علي كرم الله وجهه مروي عن ابن عباس أيضاً كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره .

وروى ابن عساكر والبغوي نحوه ورواه الزركشي والحافظ في الفتح رحمهم الله تعالى .

قال الإمام الحافظ تقي الدين السبكي عطر الله مضجعه في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلأ إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

الخلق من آدم إلى يوم القيامة ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته مع بقاء الأنبياء على نبوتهم ويكون قوله ﷺ في أثناء حديث رواه الشيخان وبعثت إلى الناس كافة قومي وغيرهم من العرب والعجم والأسود والأحمر لا يختص به الناس من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً .

قال العلامة الزرقاني وفي حديث مسلم بعثت إلى الخلق كافة وهو يتناول الجن إجماعاً والملائكة على أرجح القولين ومشى عليه ابن حزم والبارزي والسبكي وغيرهم .

قال الشيخ تقي الدين وبهذا تبين معنى قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد ثم قال فإذا عرف هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء فجميع الأنبياء نواب عنه بشرائعهم وما جاؤوا به من الشرائع هو شرعة لأولئك القوم ولهذا ظهر في الآخرة جمع الأنبياء تحت لوائه كما قال ﷺ في حديث أنس عند أحمد ويدي لواء الحمد وآدم فمن دونه تحت لوائي .

وفي شرح المواهب أنه معنوي ومعناه انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤوس الخلائق وذهب آخرون أنه حقيقي وعند الله علم حقيقته وعلى كل فعنده تنتهي جميع المقامات .

ولما كان المصطفى أحمد الخلق في الدارين أعطيه ليأوي إليه الأولون والآخرين . ولذا قال آدم فمن دونه الحديث .

قال الإمام السبكي ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم لوجب عليهم وعلى أممهم نصرته والإيمان به وبذلك أخذ الله عليهم الميثاق . انتهى .

وأورد على الشيخ بأن الجمهور على أن المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم إلى يوم القيامة .

قال الزرقاني ودفعه شيخنا بأن هذا لا ينافي كلام الجمهور إلا إذا أريد

التبليغ بالفعل أما إذا أريد بالبعث اتصافه ﷺ بكونهم مأمورين بتبعيته إذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلاً عن الجمهور وأورد أيضاً على قوله ولو اتفق مجيئه في زمن الرسل وجب عليهم الإيمان به بأن الأمر على خلافه قال تعالى : ﴿ أَنْ آتَيْتَ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وأن الأنبياء غير مكلفين بأحكام شرعه وإلا لم يكونوا أصحاب شرع وأجاب عنه العلامة الزرقاني بأن هذا تعسف لا يخفى فإن قوله ذلك من جملة مدخول لو في قوله ولو اتفق مجيئه كما هو مصرح به فر رسالته ومن أقوى التعسف قوله المستدرك أنهم غير مكلفين بأحكام شرعه فإن الشيخ لم يدع تكليفهم به بل الي ادعاه أن شرائعهم على تقدير وجوده في زمانهم شرع له فيهم فاعتبروا يا أولي الأبصار . انتهى .

قلت : وقد نقل الحافظ السيوطي خلاصة ما جنح إليه السبكي في المقامة السندسية وأقره وذكره العلامة القسطلاني في المواهب ومال إليه واعتمده العلامة الزرقاني في شرحها وعزاه إلى الإمام البارزي في توثيق عرى الإيمان وصرح به الشيخ سيدي محي الدين في الفتوحات ومشى عليه سيدي علي الخواص وأيده الشيخ السيد عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت نفعا لله بهم أجمعين .

وخلاصة ما فيها أن نبينا ﷺ مبعوث إلى الخلق كافة حتى الملائكة بل إلى الحيوانات والجمادات كلها من شجر وحجر كما جنح إليه البارزي وأقره الجلال السيوطي في الخصائص وأنه نبي الأنبياء فهو كالسلطان الأعظم ولو أدركه جميع الأنبياء لوجب عليهم اتباعه إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق من لدن آدم إلى قيام الساعة فكان الأنبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه عليه الصلاة والسلام لا يتعدها ولو كان موجوداً بجسمه الشريف من لدن آدم لكان جميع بني آدم تحت شريعته حساً ولهذا لم يبعث نبي إلى الناس عامة إلا وهو صل الله عليه وسلم فجميع شرائع الأنبياء هي في الحقيقة شرعه فكان نبي الأنبياء للعهد الذي أخذ عليهم .

ولذا قال ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وأطال الشيخ الكلام في هذا المقام وأيده وقواه بما لا مزيد عليه من النصوص والشواهد .

منها قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةُ ﴾ المعنى أن هداهم هو هداك الذي سرى إليهم في الباطن فإذا اهتديت بهداهم فإنما ذاك اهتداء بهداك إذ الأولية لك باطناً والآخرة لك ظاهراً .

ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لقليل له فبههم اقتده .

ومنها قوله ﷺ لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني .

وقوله ﷺ في حديث آخر : لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي . ويرشحه أنه إذا نزل عيسى عليه السلام لم يحكم بشرع نفسه الذي كان عليه قبل رفعه وإنما يحكم بشرع محمد ﷺ الذي بعث به إلى أمته ولو أن الشرع الذي يحكم به عيسى كان له بالأصالة لما كان يحكم إذا نزل إلى الأرض إلا به .

ومنها حديث وضع الله تعالى يده بين ثديي كما يليق بجلاله فعلمت علم الأولين والآخرين إذ المراد بالأولين هم الأنبياء الذين تقدموا في الظهور على جسمه الشريف .

فإن قلت نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت مخرج لتلك الشرائع عن كونها شرعاً له .

قلت إن ذلك النسخ لا يخرجها عن كونها شريعة له ألا ترى أن الله تعالى قد أشهدنا النسخ في شرعه الظاهر فهذا لا نزاع فيه بل وقع الإجماع والاتفاق على أنه شرعه الذي نزل عليه ونسخ المتقدم بالمتأخر . انتهى . والله أعلم .

القلادة الثالثة : فيما جاء أنه لأجله صل الله عليه وسلم كان ما كان .

أخرج في المواهب اللدنية وشرحها أنه لما خرج آدم عليه السلام من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً

باسم الله تعالى فقال آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك .

وروى ابن عساكر عن كعب الأخبار أن اسم محمد مكتوب على كل موضع في الجنة من قصر وعرفة وحور عين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة .

وعن ثاني الخلفاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك . رواه البيهقي والطبراني والحاكم وصححه .

وروى الإمام العلامة المحدث سيف الدين الشهير بابن طغرى بك بطاء وراء مهملتين مضمومتين بينهما غين معجمة ساكنة بعدهما موحدة مفتوحة في مولده الشريف أنه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه أن قال يارب لم كتبتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد في سرادق العرش فقال يارب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت السماء وأرضاً قال العلامة القسطلاني في المواهب ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد مكتوباً على العرش أن الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس

رضي الله عنهما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولاً محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن . صححه الحاكم وأقره السبكي والبلقيني ومثله لا يقال رأياً فحكمه الواقع .

وأخرج الديلمي عن ابن عباس رفعه أُناني جبريل فقال إن الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار .

وأخرج ابن سبع والعزفي بمهملة وزاي مفتوحتين بعدهما فاء عن علي كرم الله وجهه أن الله قال لنبيه من أجلك اسطح البطحاء وأموج الموح وأرفع السماء واجعل الثواب والعقاب .

وروى ابن عساكر والحاكم وصححه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال هبط جبريل عن النبي ﷺ فقال له إن ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا . انتهى .

قلت وجميع ما ذكرناه مما اختص الله تعالى به المصطفى ﷺ إذ لم يثبت لغيره من نبي مرسل ولا ملك مقرب .

تنبيه :

قد انعقد الإجماع على أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض فكيف يكون إيجاد المصطفى ﷺ علة في إيجاد آدم وغيره .

وأجاب الأفاضل بأن ما ورد من الأدلة ما ظاهره ذلك مؤول بالمصالح والمنافع للعباد المترتبة على أفعاله تعالى لا بواعث على الأقدام وليست عللاً مقتضية للفاعلية بحيث يلزم من وجودها كونه فاعلاً لأن ذلك محال في حقه تعالى لما فيه من الكمال بالغير تعالى عن ذلك علواً كبيراً ويشهد لذلك قوله

تبارك وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(٥١) المعنى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة مقارنة لخلقهم ولا يلزم من فرضها قيام الجميع بها فلا يرد إن كثيراً لا يعبدون أو يقال إنه من قبل العام الذي أريد به الخصوص كما نص عليه في المواهب وشرحها فحينئذ التعليل لفظي لا حقيقي لأن الله تعالى غني عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة عائدة عليه سبحانه كما قال جل وعلا أن الله لغني عن العالمين .

هذا وفي المواهب وشرحها أن الله تعالى لما خلق حواء من ضلع آدم القصري من شقه الأيسر بعد دخوله الجنة كما قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان نائماً فلما انتبه مد يده إليها فقالت الملائكة مه مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد ﷺ ثلاث مرات .

وذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى أن آدم لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يارب وماذا أعطيتها قال يا آدم صل على حبي محمد بن عبد الله عشرين مرة . انتهى .

ولله در قول الشاعر صالح بن حسين رحمه الله تعالى مضمناً خبر قبول توبة آدم عليه السلام حين توسل بالمصطفى ﷺ في قصيدة له حتى قيل إنه لم يسمع مثله لا حد في عصره وهي هذه :

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى	وأثواب شمس الأنس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعاً	يزيد على الأنوار في الضوء والهدا
فقال إلهي ما الضياء الذي أرى	جنود السما تعشر إليه ترددا
فقال نبي خير من وطىء الثرى	وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا	وأبسته قبل النبيين سؤدا
وأعدته يوم القيامة شافعاً	مطاعاً إذا ما الغير حاد وحيدا

فيشفع في إنقاذ كل موحدٍ ويدخله جنات عدن مخلداً
وإن له أسماء سميت بهها ولكنني أحيت منها محمداً
فقال إلهي امنن علي بتوبة تكون على غسل الخطيئة مسعداً
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي خصصت بها دون الخليقة أحمداً
أقلني عثاري يا إلهي فإن لي عدواً لعيناً جار في القصد واعتداً
فتاب عليه ربه وحماء من جناية ما أخطاه لا متعمداً
انتهى .

أقول هذه القصيدة الشريفة ليست قاصرة على إفادة قبول التوبة بل هي
متضمنة لجل ما ذكرناه في هذه الخاتمة المنيفة .
نسأل الله تعالى حسنها .

القلادة الرابعة : فيما جاء في أصل طينة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة
الأرض بمكة . انتهى .

قال العلامة الزرقاني نفعا الله به في شرح المواهب وهذا حكمة الرفع إذ
لا يقال رأياً قال وقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض أو لا إلا
درة المصطفى صل الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض ومدت
فصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له وإليه الإشارة بقوله
وآدم بين الروح والجسد . انتهى .

أقول : هذه الأصالة المذكورة هنا بالنسبة إلى الجسم الشريف وقد مر ذلك
في القلادة الأولى أسبقية خلق نوره قبل كل مخلوق فكان صل الله عليه وسلم
أصلاً لسائر الخلق حساً ومعنى .

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ سمي أمياً لن طينته الشريفة من مكة
وهي أم القرى فكانت درته أم الخليقة .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه لما خاطب الله السموات والأرض بقوله :
﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ﴿١١﴾ كان المجيب أولاً من الأرض موضع
الكعبة ومن السماء ما يحاذيها ووافقهما على الجواب البقية .

وروى الإمام العارف الرباني عبد الله بن أبي جمرة نفعا الله به في بهجة
النفوس والإمام أبو الربيع ابن سبع في شفاء الصدور وأبو سعيد في شرف
المصطفى وابن الجوزي في الوفاء رحمهم الله تعالى عن كعب الأحبار التابعي
الجليل أخذ عنه العبادلة الأربعة وأبو هريرة وأنس رضي الله تعالى عنهم وهو من
رواية الأكابر عن الأصاغر يقال لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله
عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها وحسنها
ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى والرقيع
براء مهملة وقاف السماء السابعة كما في شرح المواهب .

قال كعب الأحبار رضي الله عنه فقبض جبريل قبضة رسول الله ﷺ من
موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم وهو أرفع مشراب
الجنة في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم
طاقت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال
وبالبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم
وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام . انتهى .

قال العلامة الزرقاني نفعا الله به وهذا لا يقال من قبل الرأي فهو إما عن
المصطفى بواسطة فكان مراسلاً وإما عن الكتب السالفة إذ ليس كلما ينقل عنها
مردوداً أو ضعيفاً كيف والناقل حبرها .

قال ابن قتيبة وغيره كعب الأحبار معناه كعب العلماء وملجأهم فقول
البعض بضعفه لاحتمال أنه من الكتب القديمة غير مقبول . لأن الضعف إنما هو
من جهة السند لأنه المرقاة كما هو معلوم لدى أهل الفن . انتهى .

تنبيه :

لا يخفى أن مدفن كل إنسان في البقعة التي منها طينته فعلى ما روينا عن كعب الأحبار فلا إشكال لكن على ما روينا عن ابن عباس كما مر ينبغي أن يكون قبره صل الله عليه وسلم بمكة حيث كانت جوهرته الشريفة منها وهو مشكل وأجاب عنه علامة الظاهر والباطن صاحب عوارف المعارف الإمام السهروردي أفاض الله علينا من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه ناقلاً عن قبله من الأفاضل بأن الماء الذي كان عليه العرش لما تموج بالزبد إلى النواحي فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان صل الله عليه وسلم مكياً مدنياً . انتهى .

فقد حصل التوفيق بين الخبرين وزال الإشكال .

وتوضيحه كما قال بعض الأفاضل أنه حين أراد الله تعالى إبراز سيدنا محمد صل الله عليه وسلم هبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس والرقيع الأعلى فقبض طينته من محل قبره الشريف وأصلها من مكة . انتهى . الكل من المواهب وشرحها ببعض توضيح واختصار .

فائدتان :

الأولى : ما ذكره العلامة الزرقاني في الشرح المذكور أن الإمام سيدي عمر السهروردي قد أخذ عن مشايخ من أهل الظاهر والباطن منهم العارف الكبير سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به حتى بلغ مبلغاً عظيماً في العلمين ووصل إلى الله تعالى به خلق كثير وأقبل عليه من الخلق الجهم الغفير حتى إن كانت محفته لتحمل على أعناق الرجال من العراق إلى البيت الحرام . ورأى من الجاه عند الملوك ما لم يره أحد . ولما حج آخر حجاته ورأى ازدحام الناس

عليه في المطاف واقتداءهم بأقواله وأفعاله قال في سره يا ترى أنا عند الله كما يظن هؤلاء فكاشفه قدوة العاشقين سيدي عمر بن الفارض نفعا الله به وخاطبه بقوله :

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج
فصرخ السهروردي وخلع ما عليه وألقاه فخلع المشايخ والفقراء ما عليهم
والقوة فبلغ أربعمائة خلعة . انتهى .

الثانية : ما ذكره المحقق العلامة السيد محمد بن عابدين في حاشية الدر
المختار معزياً للتاج الفاكهي أن الأرض أفضل من السموات لحلوله صل الله
عليه وسلم بها بل عزى هذا القول إلى أكثر العلماء لخلق الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام منها ودفنهم فيها .

قال الإمام النووي نفعا الله به فعلى تفضيل السماء على الأرض كما ذهب
إليه الكثير ينبغي أن يستثنى من ذلك مواضع ضم أعضاء الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام للجمع بين أقوال العلماء . انتهى .

قلت : وعلى كل فالإجماع على أن ما ضم تلك الأعضاء الشريفة أفضل من
السموات .

قال المحقق وقد نقل القاضي عياض وغيره الإجماع على تفضيل القبر
الشريف حتى على الكعبة المشرفة .

قال العلامة ابن عقيل الجنبلي أن تلك البقعة أفضل من العرش وقد وافقه
على ذلك السادة البكريون . انتهى .

ثم لا شك في أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره كحياته في الدنيا حياة
أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله بها في كتابه العزيز على أنه صلى الله عليه
وسلم سيد الشهداء وأعمال الشهداء في ميزانه صلى الله عليه وسلم وكذا سائر
الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم يصلون ويحجون . وبذلك وردت

الأحاديث الصحيحة وخرجها الثقات كالبيهقي والحاكم وابن حبان وابن عدي
والبزار وابن ماجه وغيرهم زاد ابن ماجه فنبى الله حي يرزق ذكره العلامة
الشريف السمهودي المدني نفعا الله به في خلاصة الوفاء وتكون لهم القدرة
والأفعال الاختيارية كصوم وأكل وشرب ويثابون على ذلك من غير تكليف بل
تكرمة ورفع درجات ذكره العلامة عبد السلام الداغستاني المدني في آخر
ما علقه على الشمائل معزياً للشمس الرملي قال ومن ثم قال الإمام السبكي حياة
الأنبياء كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى في قبره وأن الصلاة تستدعي
جسداً حياً . انتهى .

بل قال الشيخ عبد السلام المذكور معزياً لبعض الأفاضل وأن الأنبياء
والشهداء مأذون لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي
والسفلي كما في سير الحلبي .

أقول وقد من الله تعالى بهذه المزايا على بعض خواص الأمة كالسيد أحمد
البدوي والسيد أحمد الرفاعي والسيد الجيلاني نفعا الله بهم .
وظفحت بذلك الأخبار فكن من ذوي الأبصار .

ومما يناسب ما نحن فيه ما تواتر واشتهر أن القطب الشهير سيدي أحمد
الرفاعي قد سره لما أتى إلى زيارة النبي ﷺ ووقف تجاه القبر الشريف أنشأ
فقال :

في حالة البعد روعي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائيتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامد يد يمينك كي تحظى بها شفتي

* * *

فمد المصطفى يده الشريفة إليه فحظي بتقبيلها .

ومنه تلقناه عن المشايخ وذكره العلامة العارف الفاسي في تأليفه كشرحه

على حصن الحصين أن ولي الله تعالى الشهير بابن الجلي أصابته مخمصة وكان
إذ ذاك في المسجد النبوي فشكى أمره إلى الله وإلى رسوله ثم غشي عليه من
شدة الجوع فرأى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ناوله رغيفاً كاملاً فأكل
نصفه ثم استيقظ والنصف الآخر بيده ثم لم يحتج إلى طعام وشراب بعد ذلك
طول عمره إلى أن مات . انتهى .

وهذا غير ابن جلي القائل :

أنا ابن جلي وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وروى بن النجار عن كعب الأحبار : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً
من الملائكة حتى يحفون بالقبر الشريف يضربون بأجنحتهم . ويصلون على
النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت
الأرض خرج صل الله عليه وسلم في سبعين ألفاً من الملائكة .

وروى الدارمي في صحيحه من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها نحوه
ذكر ذلك الشريف السمهودي المدني في وفاء الوفاء . ونقل العلامة السيد
أحمد جمال الليل المدني في ذخيرته عن العلامة محمد بن سليمان الكردي
المدني عن روض الخرائد للعلامة الرسموكي عن الشيخ سيدي محمد بن علي
العياش الرحمان المدني رحمهم الله تعالى أن ملكاً موثقاً بقبر سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم يبلغ صلاة وسلام أمته من مشارق الأرض ومغاربها واسمه
صلصائل .

فينبغي للزائر أن يسلم عليه وعلى الملائكة الحافين بالقبر الشريف بعد زيارة
الشيخين رضي الله تعالى عنهما .

قال وأما الشباك الذي يزور عنده سائر الناس جبريل وميكائيل وإسرافيل
وعزرائيل عليهم السلام فهو بدعة لا أصل له . انتهى .

وفي الخلاصة : أن التبليغ إذا كان المسلم غائباً أما إذا كان حاضراً فلا كما وردت بذلك الأخبار .

وقد ذكر الحافظ ابن تيمية أن الشهداء بل كل مؤمن إذا زارهم وسلم عليهم عرفوه وردوا عليه السلام .

فإذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين فهو صل الله عليه وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره الشريف ويرد عليه السلام عالماً بحضوره وكفى به فضلاً حقيقياً بأن ينفق فيه ملك الدنيا ليتوصل إليه آه .

وفيها معزواً للدر النظيم أنه صلى الله عليه وسلم لما مات بقي في أمته رحمة لهم قال فإنه سأل الله تعالى أن يكون بين أمته إلى يوم القيامة . انتهى .

أقول : وإنما اختار صلى الله عليه وسلم ذلك لوفور شفقتة وتمايم رحمتة بأمته فكيف بجيرانه ولا يعزب عنك ما مر في المقدمة ولا غرابة في ذلك بعد أن قال في حقه عز من قائل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وأما خلقه الجميل الفخيم فقد روينا عن الإمام الترمذي من كتابه الشمائل . قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي أُملي علينا من كتابه قال أخبرني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى بأبي عبدالله عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً تلاً وتلاً وجهه تلاً والقمر ليلة البدر أطول من المربع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفردت عيقتة فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الجوانب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أفنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الأسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية

في صفاء الفضة . معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخمة الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسر بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو سائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صلب وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جلال نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلام .

وبسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله ﷺ أفلح الثنيتين إذا تكلم رثي كالنور يخرج من بين ثناياه . انتهى .

هذا وفيما أوردناه كفاية لما أوردناه من إيراد هذه الخاتمة ومقنع لكل ذي بال كان بمرأى من الحق ومسمع ولتتمثل بشعر العارف الكبير سيدي علي أبي الوفا الشارب من بحر الصفا بالكأس الأوفى حيث قال :

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد	ذاك النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن	جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه	لا خوف في هذا الجنب ولا نكد
لا تخشين فقراً وعندك بيت من	كل المنا لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن	هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها	أعلى على سار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد	لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم	هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره	في وجه آدم كان أول من سجد
ألو رأى النمرود نور جماله	عبد الجليل مع الخليل وما عند

لكن جمال الله جل فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد
 فابشر بمن سكن الجوانح منك يا أنا قد ملئت من المنا عينا ويد
 عين الوفا معنى الصفا سرى الندى نور الهدى روح النهى جسد الرشد
 هو للصلاة من السلام المرتضى الجامع المخصوص ما دام الأبد

* * *

انتهى . ويقول العبد المسكين متمثلاً بقول صاحب البردة عطر الله مضجعه
 ونور مرقده :

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذم
 ويقول الآخر :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب به طابت الدنيا فأين نطيب
 إذا لم يجب في حيه ربنا الدعا ففي أي حي للدعاء يجيب

* * *

وأسأل الله تعالى أن يمنحني حسن هذا الجوار متصلاً بصحبته صل الله عليه
 وسلم في دار القرار وأن يحفظ لنا الإيمان حتى نلقاه به على أسر حال آمين
 وينظمنا في سلك من دعواهم بأهل الجنة : ﴿ سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فَفِيهَا سَلِمْتُ
 وَمَا خِرْتُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ لِحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١﴾ بجاه الفاتح الخاتم معلم كل
 عالم صلى الله تعالى وعلى آله الفائز من أحبهم بالهداية إلى سبل السلام وعلى
 أصحابه البررة الكرام نجوم الهدى إلى دار السلام وكان الفراغ من هذا التأليف
 المبارك إن شاء الله تعالى في ليلة الاثنين المباركة لإحدى وعشرين مضين من
 شهر رمضان المبارك سنة خمس وثمانين ومائتين وألف من هجرة من له كمال
 العز ونهاية الشرف .

صلى الله عليه وسلم والحمد لله أولاً وآخراً .

قد طبع هذا الكتاب في المطبعة العامرة السلطانية بنفقة جناب محمد كامل
آغا رئيس بوابي حضرة أفخر ذوات الفخر في هذا العصر رفيعة الشأن والدة
السلطان الأعظم على نية أن يكون هذا الكتاب هدايا للمسلمين مجاناً رجاء
الثواب من الملك الوهاب نفع الله تعالى به الجميع . آمين .

تم طبعه في ١١ من جاء من سنة ١٢٨٧ هـ

* * *

سبيل السلام في حكم آباء سيد الأنام

تقريظ

باسمك البدأ وأنت الأول . وبحمدك الختم و عليك المعول . وبعد كامل الصلاة مع التسليمات . على نبينا المبرأ من وصمة الشرك آباؤه والأمهات . وعلى آله وأصحابه . وتابعيه وكل متمسك بكتابه . قد ورد من المدينة المشرفة إلى دار السلطنة كتاب . فتصفحته متأملاً فإذا هو فسيح كالبحر العباب . مشحون بالتحقيق . مملوء بالتدقيق . صباثر لشمس المتفرقات . ما ترك في فهمه مسئلة شيئاً مضى وفات . ومن العجب نظم الجواهر في اللألى . فإن هذا لا يقدر عليه إلا من له في العلم مقام عالي . ولا غرابة فإن هذا المؤلف أخذ العلم عن أربابه . ودأب في التحصيل حتى وصل إلى مقام التحقيق من باب . لأن شيخه خاتمة المحققين ، وفذلكة المدققين . أدام الله النفع به للمسلمين ولا زال مربياً للطالبيين الراغبين . فله در هذا المرتب . حيث مع هذا العشق أعرب وأعجب . وضم النظر إلى النظر فأنج وأنجب . ونبينا ﷺ بما أجاب به هذا الحبر لا شك أنه ينسر ويرضى . وإن كان يكفي في هذه الواقعة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ . أقام الله هذا الجامع للتحقيقات بيديها . وللتدقيقات يبرزها لعاشقها ومعانيها . ولا برح الزمان مفتخراً بوجوده . والناس شاكرين لحسن صنعه وجوده . جعل الله سعيه مشكورا . وذنبه وذنب المسلمين مغفورا . قاله بلسانه ورقمه ببنانه . قارىء البخاري في السراية الهمايونية أدامها الله في كل بكرة وعشية .

الفقيه الحاج حسن علوي زاده

ختم الله له بالحسنى ومن الخيرات زاده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير البرية محمد الطاهر الآباء
والأمهات قرناً فقرناً إلى أن يصلوا إلى آدم عليه السلام وعلى آله وأصحابه
الطيبين الطاهرين وبعد فيقول العبد الفقير إليه عز شأنه لما طالعت هذا الكتاب
الجليل الجميل وجدته على طبق ما يجب اعتقاده في حق أبوي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكرم .

أنا الفقير إليه عز شأنه عن أعضاء

مجلس تدقيقات شرعية

السيد خليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

الحمد لوهاب العطية . والصلاة على خير البرية . وعلى آله وأصحابه ذوي
النفوس الزكية . وبعد فيقول العبد المفتقر إلى ألطاف ربه الوهاب . لما
طالعت هذا الكتاب . ألفيته موافقاً للسنة والكتاب والله درجا معه حيث أعلن
الحق وأبرز الصواب .

أنا الفقير وكييل درس مشيخة

إسلامية فلبه لي

السيد خليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

أحمدك يا من تقدست ذاته عن الشبيه والنظير . وأشكرك يا من تجلى لعباده البصير . صل على المقدس أصوله وفروعه عن وصمة ضد الإيمان . وعلى آله وأصحابه الذين أذعنوا بذكىة أصله وطهارة فرعه عن نقيصة الخذلان . وبعد فلما عرض علي هذا التأليف . والمجمع النفيس الطريف . الذي ضمن ما يلزم ويجب على كل من اتبع منهج مفخر الرسل الكرام . وسنن سيد الأنبياء العظام . أن يذب لسانه في والدي نبينا نبي النبياء وأن يطهر نسبه العالي بالقلب الصافي وأن نسب هذا إلى الشيعة الفخر الرازي أحسب أن ما سلك إليه المؤلف اللبيب . من أحسن ما يتوسل به إلى تعظيم الحبيب . وعندي كذلك بلا ارتياب . كما لا يخفى على أولي الألباب . فله در الفاضل . المؤلف الكامل . حيث لم يكن بمأول قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بعامل . ولقد أنشد الفاضل الخفاجي في أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم فأجاد حتماً . وأنا أدين به قطعاً :

لوالدي طه مقام علي	في جنة الخلد ودار الثواب
فقطرة من فضلات له	في الجوف تنجي من أليم العذاب
وكيف أرحام له قد غدت	حاملة تصلى بنار العقاب

وأنا الخادم للدين والدولة المستمد

من فيضه الخفي والجلي المتشرف بتعليم

دولتوشهزاد يوسف عز الدين

أفندي الزكي

عمر لطفي

المراجع

- الإمام السيوطي في رسائله .
- الإمام الشعراني اليواقيت والجواهر .
- القسطلاني المواهب اللدنية .
- العلامة الزرقاني شرح المواهب .
- ابن أبي شريف .
- العلامة الطحاوي .
- المحقق ابن عابدين .
- القاضي البيضاوي .
- العلامة الأمير .
- العلامة عlish .
- البرزنجي .
- العلامة ابن ذكرى .
- ابن مشيش شرح صلاة ابن مشيش .
- العلامة الساجقلي رسالته السرور والفرح .

* * *

الفهرس

الباب الأول : في أنه يحرم التكلم في أحد أصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يليق .

الباب الثاني : في الأجوبة عما ورد في الأبوين الكريمين .

الباب الثالث : في أن الوالدين الكريمين وسائر الأصول من أهل الفترة ناجين .

الباب الرابع : في الذين يمتحنون يوم القيامة من أهل الفترة .

الباب الخامس : في أن أصول النبي صلى الله عليه وسلم كانوا على التوحيد .

الباب السادس : في أن الله أحيا الأبوين الكريمين حتى آمنأ به صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة : في مسائل فرائد منتظمة . من مسلك أربع قلائد :

القلادة الأولى : في بيان أول مخلوق ظهر في الوجود .

القلادة الثانية : في بيان أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان نبياً قبل تمام خلق آدم عليه السلام .

القلادة الثالثة : فيما جاء أنه لأجله صلى الله عليه وسلم كان ما كان .

القلادة الرابعة : فيما جاء في أصل طينة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

* * *

نموذج رقم ١٧ هـ

الأوسر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة
For Research, Writing & Translation



السيد / وأخيه: أحمد فاضل كمال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

بناء على الطلب الخاص بنقص ومراجعة كتاب : رسالة الأئمة في الصحابة بالأكف والأهمية تأليفكم .

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

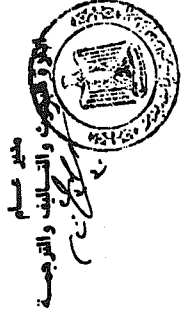
مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكسابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليمه خمس نسخ لحكمة الأثر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

محرر

تحريراً في ١٠ / ١ / ١٤٢٣ هـ
الموافق ٢٤ / ٣ / ٢٠٠٢ م



مدير علم
البحوث والتأليف والترجمة

نموذج رقم ١٧ هـ

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation



السيد / وأخيه: أحمد فاضل كمال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

بناء على الطلب الخاص بنقص ومراجعة كتاب : خوارزمي في الأثر الشريف تأليفكم .

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

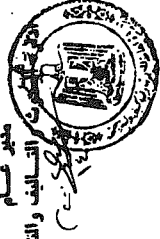
مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكسابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليمه خمس نسخ لحكمة الأثر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

محرر

تحريراً في ١٠ / ١ / ١٤٢٣ هـ
الموافق ٢٤ / ٣ / ٢٠٠٢ م

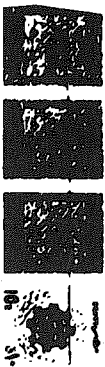


مدير علم
البحوث والتأليف والترجمة

سورة رقم ١٧٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation



الأمر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

سورة رقم ١٧٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation



الأمر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد / د. أحمد محمد كامل طالب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

بناءً على الطلب الخاص بعض ومراجعة كتاب : هل محفل ؟ وإذا لا نحفل ؟

بسم محفل تأليفكم

نريد بأن السكاتب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا جامع من طبعه ونشره على تنقسمكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية الخاصة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأثر المقتضى هـ ضمن نسخ لجنة الإشراف بعد النسخ .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مفتي عظم

إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تاريخاً ف ١١٣٣ / ٣ / ٢٠
الرائق م ١٨٥٠٤ / ٦ / ١١



السيد / د. أحمد محمد كامل طالب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

بناءً على الطلب الخاص بعض ومراجعة كتاب : قرآني عيسى في ساجد
الحسين والخليفة تأليف : د. أحمد محمد كامل طالب

نريد بأن السكاتب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا جامع من طبعه ونشره على تنقسمكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية الخاصة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأثر المقتضى هـ ضمن نسخ لجنة الإشراف بعد النسخ .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مفتي عظم

إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تاريخاً ف ١١٣٣ / ٣ / ٢٠
الرائق م ١٨٥٠٤ / ٦ / ١١



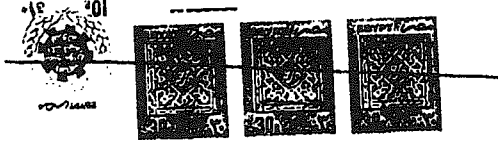
تاريخاً ف ١١٣٣ / ٣ / ٢٠
الرائق م ١٨٥٠٤ / ٦ / ١١

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



السيد / الأستاذ / السيد / فاضل / كاتبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب :
والله اعلم تأليفكم

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع
من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتلية الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة والالتزام بتسليم خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بمد الطبع .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدرع

مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

١٧٤٢
مدرع

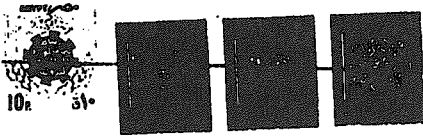
تحريرا في ٢ / ١ / ١٤ ٢١ هـ
الموافق ٢٨ / ١١ / ١٤٠٠ م

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



السيد / د. أحمد فاضل كابل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ويمد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليه أجمعاً للنجى... تأليفكم :
رحمة الله وبركاته .
نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع
من طباعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير علم

مدير علم
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

١١/٢٨
١٤٢١/٩/٢
١٤٢٠/١١/٢٨

تحريراً في ١٤٢١ / ٩ / ٢ هـ
الموافق ١٤٢٠ / ١١ / ٢٨ هـ

نموذج رقم ۱۷۵

AL-AZHAR AL-SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأهـر الشریف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

المسألة الأولى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ويمد

بناء على الطلب الخاص بـ: إدارة المطابع في جازية
 من المضمين على أن تلتزم
 بالآلة

تفيد بان الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا ملحق
من طبعه ونشره على تفكيركم الخاصة.

مع التأكيد على ضرورة المناسبة النهائية بكمية الإثبات الشرطية والأحيائية
النوعية الثرية والالتزام بتسليم ه خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله المستوفى
،،،

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

2

[illegible]

تخبراً في ١٤ / ١٢ / ١٩٥٢
الموافق ٢٠ / ١٠ / ١٩٥٢

"14" 1000

AL-AZHAR AL-SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأزهى الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

والصنف / أحمد . فاضل . كابل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ويبدأ :

بناءً على الطلب الخاص بغرض مراجعة كتاب: **سيرة أسد الله الشهيد الشهيد**
 حمزة بن عبد المطلب. هـ. ٥٠٩. هـ. باليكنم

تتعدّل السكّاب الفُكر ليس به ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية، ولا يلح من طبيعته ويشره على نقيضكم الخاصة.

والله الموفق

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

12/10/20

ادارة البحوث والتأليف والترجمة



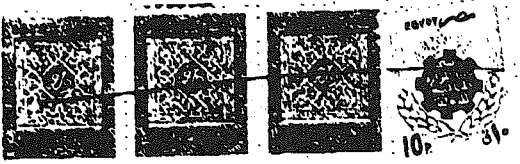
محرر اف ٢٠٢١
الموافق ١١/٢/١٤٤٣هـ

نبرذح رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



السيد / واصف . أحمد . فاضل . كابلج . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بنحصر ومراجعة كتاب : مناقب السيدة البتول فاطمة الزهراء
بنت الرسول صلى الله عليه وسلم : تأليفكم

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع
من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة والالتزام بتسليمه خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

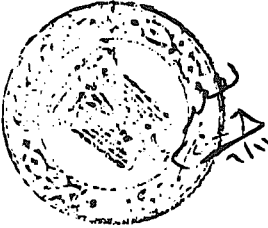
والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام

إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ٢٠ / ٢ / ١٤
الموافق ١١ / ٦ / ١٤٠٤ م



سہ ماہی





المؤلف

السيد واصف بن أحمد فاضل بن محمد فاضل الكابلي ، من مواليد مكة المكرمة في ١٣٦٧/٦/٢٤ هـ .

حصل على شهادة البكالوريوس من الإدارة العامة من جامعة الملك عبد العزيز بمكة عام ١٣٩٣ هـ ، عمل في المؤسسة العامة لتحلية المياه كمدقق لشؤون الموظفين ، ثم رئيس قسم المناقصات ثم استقال لمواصلة عمله التجاري ... فقد عمل بالتجارة الحرة من عام ١٩٦٤ م وجمع بين التجارة والدراسة . له عدة كتب منها :

- ١ . في سيرة سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٢ . سيرة سيدنا حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس رضي الله عنهما .
- ٣ . في سيرة سيدتنا فاطمة رضي الله عنها .
- ٤ . في سيرة سيدتنا خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها .
- ٥ . هل نحتفل ؟ لماذا نحتفل ؟ نعم نحتفل .
- ٦ . حياتنا الزوجية .
- ٧ . خواطر في الأنوار والأسرار .
- ٨ . الأربعين الكابلية .
- ٩ . قرة كل عين في مناقب الحسن والحسين .
- ١٠ . غاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
- ١١ . الخواص العظمى في أسماء الله الحسنى .
- ١٢ . سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام .